التعزية العاشورائية سوسيولوجيا الملحمة الحسينية

الباحث
نـذيـر هــارون الـزبيـدي
محافظة واسط ـ قضاء العزيزية
aramap32@gmail.com

المقدمة:

قد يتفق معي الكثيرون في ان التوجه للكتابة في المواضيع ذات المصادر الشحيحة والتي لم تُبحث وتُدرس سابقا، تتساوى في الصعوبة مع المواضيع ذات المصادر الوفيرة التي حظيت بقدر كبير وواسع من البحث والتحقيق، ووجه الصعوبة في الاخيرة تكمن في عدم قدرة الباحث على اكتشاف أو تقديم حقائق جديدة أو نظرية مستحدثة أو معرفة مبتكرة لم تُقدم من قبل، ويتعسَّر عليه احراز الفجوة المعرفية التي تحقق له اصالة بحثه، هذا بالاضافة إلى الحيرة التي يواجهها وهو امام كم هائل من المعلومات، ما يوقعه في دوامة من الارتباك والالتباس والتردد لأختيار الأصلح منها والافضل ليتلائم ويتناسب مع بحثه... هذا الحالة تنطبق على المجالات العلمية والمعرفية بشكل عام، فكيف الحال بنا ونحن نقف أمام طوداً شامخاً انحنت اجلالا له هامات ملوك وسلاطين ورؤساء، وسطرت بحقه اقلام فقهاء وعارفين وحكماء اروع الكلمات، وكتب عن ثورته وسيرته علماء وخبراء واساتذة اجلاء افضل البحوث والدراسات وعلى امتداد التاريخ منذ استشهاده عليه السلام وحتى هذه اللحظة فلم يتركوا شاردة وواردة الا وتناولتها أقلامهم واخضعتها واشبعتها كتاباتهم بحثا وتدقيقا وتفصيلاً... ولم يتركوا للبسطاء مثلي ما يمكِّنه من ايجاد شيء جديد سوى اعادة كتابة واجترار تلك المعلومات بقوالب واطر جديدة.

وبعد طول تفكير، وجدت ضالتي في جزئية خلفتها الثورة الحسينية وكانت من نتائجها؛ الا وهي (مراسيم العزاء الحسيني) والتي لم تحصل على كفايتها من البحث والتحقيق ولم تخضع للبحث العلمي الاكاديمي بل ظلت رهينة الحوزات الدينية وحكرا على كتابات رجال الدين.

إن مادفعني للخوض والاهتمام بهذا الموضوع ومحاولة دراسته دراسة سوسيولوجية بالرغم من حساسيته لاعتبارات دينية واجتماعية توارثها الناس عبر الأجيال - هو أنه بات من الضروري أن يقف المرء وقفة متأنية مع حقيقة ومغزى مراسيم العزاء الحسيني وفلسفتها الدينية والاجتماعية، وأبعادها الفكرية والسياسية، وليس كما تطرح اليوم في بعض أشكالها الطقوسية المفرغة من كثير من مضامينها، و اصبح لزاما ايضا العمل على تنقية (عاشوراء) مما حلّ بها من بدع وما دخل عليها من ترهات بعيدة عن روحها، ونحن اليوم في امس الحاجة لنشر وتوضيح الأهداف الحقيقية التي ارادها واقرها واسس لها اهل البيت عليهم السلام لهذه المراسيم والشعائر، خاصة في ظل الظروف التي تمر بها بلادنا هذه الفترة من شيوع الفوضى والإرهاب وعدم الاستقرار الذي أنتجه الاحتلال بالاضافة إلى انتشار حدّة المشاعر الدينية الجيّاشة ومحاولة إعادة انتاج الهوية الشيعية وتقويتها وتزايد الاهتمام - وبهذا الشكل الغير مسبوق في المجتمع - بالشعائر والطقوس العاشورائية وابتداع أخرى جديدة للتعويض عما كان ممنوعا ومفقودا.

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

فأما التمهيد: فقد جاء فيه قراءة سوسيولوجية للوراء التاريخي لملحمة الطف و المحنة الكبرى: (قيام الدولة الاموية) ونبذة مختصرة عن ملحمة الطف ومن ثم بيان مفهوم العزاء بشكل عام وبعده مفهوم العزاء الحسيني.

أما المبحث الاول: فيتحدث عن سوسيو - تاريخية العزاء الحسيني والذي جاء فيه نشأة وتطور مراسيم العزاء الحسيني وبعده الانطلاقة الاولى لمراسيم العزاء الحسيني، ثم السيدة زينب عليها السلام تنعى الحسين وتعلن بدء مراسيم العزاء الحسيني.

أما المبحث الثاني: فقد اشتمل على سوسيو - سياسية العزاء الحسيني وتكوّن من مرحلة التأسيس والتأصيل ومواقف انظمة الحكم الاسلامية المتعاقبة والمواقف العالمية من مجالس العزاء الحسيني.

وقد حاولت ان يكون هناك مبحث ثالث اتناول فيه سوسيو- ثقافية العزاء الحسيني الا ان نفاذ الوقت المتبقي لاتمام البحث حال دون ذلك.

التمهيد:

قراءة سوسيولوجية للوراء التاريخي لملحمة الطف:

إن فهم العزاء الحسيني في دور التكوين لا يتم بمعزل عن الوراء التاريخي للبيئة التي تمخضت عن ميلاد هذا الفكر، ودراسة هذه الظاهرة وفق منظور سوسيولوجي من الامور المستحدثة والعسيرة ولكن لا مندوحة من الاقدام بل المغامرة لتحليل هذه الظاهرة كضرورة منهجية اقتضتها طبيعة المحاولة لاستقصاء المؤثرات كافة التي ساهمت في تكوين العزاء الحسيني وظلت مصاحبة لها في مراحل تطورها التاريخي.

وقد فطن الكاتب احمد امين في موسوعته عن الثقافة الاسلامية إلى اهمية دراسة الاساس السوسيولوجي لفهم الفكر، بل وقف على قواعد منهجية لذلك حين اشار إلى ان (النهضة) نتيجة لازمة لكل ما احاط بها من بنية اجتماعية، بل فطن إلى ما هو اخطر حين راى ان تاريخ الفكر لا يسير حيثما اتفق، بل يخضع في حركته لقانون ونظام[١].

وغني عن القول اننا نفتقر - إلى الان - لدراسة معمقة مرتبطة بمراسيم العزاء الحسيني وفق منظور سوسيولوجي شامل بل تكاد تكون منعدمة ولعل دراسة الباحث والأنثروبولوجي العراقي الدكتور ابراهيم الحيدري تراجيديا كربلاء التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة برلين عام، ١٩٧٥ تكاد تكون الدراسة اليتيمة من نوعها وجاءت لتسد نقصا وفراغا كبيرين في المكتبة العربية والإسلامية في هذا المجال من حيث شموليتها وعمقها ومسحها لصور ومشاهد تلك الممارسات والتعاطي معها.

وإذا كان من المبالغة الادعاء بأمكانية رصد معالم البناء السوسيولوجي للعزاء الحسيني على مدار زماني طويل ووضعها داخل نسق محدد فلا اقل من تحليل هذه الظاهرة في ضوء المعلومات المتاحة وعلى اساس تأثيرها في توجيه التاريخ والسياسة والثقافة الاسلامية.

إن بواعث الثورة لدى الامام الحسين عليه السلام لم تبدأ في عصره وعصر خصمه يزيد، بل كان لها جذور تاريخية بدات منذ عهد عبد مناف ثم إلى قريش... فالهاشميون والامويون من ارومة واحدة الا انهم يختلفون عن بعضهم بالاخلاق والمثل إذ كان بنو هاشم اخلاقيين اريحيين، بينما كان بنو امية نفعيين دهاة، لاسيما من كان منهم في اصل عبد شمس من الاباء[٢].

وإذا كان من غير الضروري الخوض في الاسباب التاريخية لخلاف بني هاشم وبني امية في متن بحثنا هذا تاركين هذه المهمة لكتب التاريخ الصرفة التي تهتم بسرد الحوادث دونما تحليل وابداء الراي حولها، فان ذلك لن يمنعنا من تقديم نبذة بسيطة عن هذا الخلاف مذ تفجر حتى وصلت نتائجه إلى عهد الحسين عليه السلام ويزيد، وما كان من الحوادث التي تلت... فجذور الخلاف الاولى تمتد إلى صراع موروث وتخاصم حاد منذ عهد الجاهلية الاولى بشرارة بدأت بين هاشم وامية وامتدت بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وابي سفيان واستمرت إلى عهد علي عليه السلام ومعاوية وانتهت بعهد الحسين عليه السلام ويزيد(٣).

إن المبادئ التي طرحها الاسلام شكلت خطرا حقيقيا على النظام السائد في مكة والذي تمثله حكومة الملأ المكي، وتاريخ الدعوة الاسلامية - بنوعيها السري والعلني- يكشف بوضوح طبيعة هذا الصراع، لا لأن الرسول جاء بدعوة التوحيد فقط بل لكون رسالته تزلزل الكيان الاقتصادي والاجتماعي السائد من اساسه لتقيم مجتمع جديدا وعلى أُسس مناقضة(٤).

إن المنهجية المخالفة لما اعتادت عليه القبائل العربية المتناثرة في صحراوات الرمل، التي طرحها الفكر الاسلامي عمقت جذور الخلاف اكثر بين الهاشميين والامويين، وقد تصورً الامويين ان فرصتهم قد حانت للانتقام والتخلص من عدوهم التقليدي، بتأليب القبائل الاخرى ضد صاحب الدعوة - يتيم بني هاشم - بشكل خاص والهاشميين بشكل عام، ما أدى إلى أنقسام المجتمع على اثر ذلك إلى اكثرية تمثلها حكومة الملأ المكي من الارستقراطية (البرجو - اقطاعية) واقلية متمثلة بالرسول واصحابه المستضعفين ومن ورائهم بنو هاشم الذين انبروا للدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وآله بدواعيٍ ايمانية للبعض منهم، وبدافع العصبية القبلية للبعض الاخر.

لقد ادرك صاحب الرسالة السماوية ان الاشكالية تكمن في جذور البناء القبلي من جهة كونه مغرقا في الذاتية وتحتل الرؤى الطاغوتية فيه مساحة واسعة في اخضاع المجتمع لهيمنة سطوة المال والقوة، ومن هنا سعى الفكر الرسالي إلى تجريد المجتمع من نزعته القبلية لصالح قيمة اعلى وهي مجتمع الاخوة الاسلامية(٥).

حاربت قريش النبي محمد صلى الله عليه وآله حربا لا هوادة فيها واضطهدت اتباعه اضطهاداً قاسياً،

من اجل مصالحها ومنزلتها الطبقية وكرامتها القبلية[٦] وبالرغم من ذلك استطاع الرسول وضع ركائز المجتمع الجديد، الا ان العمر لم يمتد به طويلا ليرسِّخ جذور الاسلام مع بقاء بعض بصمات الاوضاع القديمة، فالارستقراطية القديمة لم تستأصل شأفتها تماما متمثلة بالبيت السفياني على وجه التحديد نواة الارستقراطية القديمة[٧]، فهذا البيت ليس من السهل عليه نسيان كفاحه الطويل ضد محمدﷺ بهذه البساطة ويدخل الاسلام صاغرا، وهو في عقله الباطن عقدة نفسية ضد الاسلام واهله... ولا عجب إذا افترضنا ان ابا سفيان أوحى إلى ابنه معاوية أو لقنه وغرز في نفسه فكرة مقاومة الاسلام وحرضه على استرجاع مجد قريش الذي هدمه محمد[٨].

نبتت ايضا بذور طبقة اخرى في المجتمع الجديد متمثلة بالموسرين قبل الاسلام واعتنقوا الاسلام فتمتعوا بوضعية متفوقة، بحيث صاروا نواة طبقة ارستقراطية ثيوقراطية قدر لها ان تتولى الصدارة بعد وفاة الرسول مباشرة، ومن زعمائها ابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف[٩] فكانت هذه الطبقة تتعالى على الاعراب معتبرة نفسها قوام الاسلام واساسه الذي بني عليه[١٠].

وهناك تيار ثالث وهو التيار الثوري، كان علي بن ابي طالب عليه السلام رمز الزعامة فيه والذي تبنى مبادئ مجتمع الاخوة الاسلامية، يؤازره جل صحابة الرسولﷺ ممن كانوا مسترقين أو مستضعفين قبل الاسلام واصبحوا بنعمته عصب النظام الجديد، لذلك كانوا اكثر القطاعات السابقة حرصا على استمرارية السياسة الاسلامية وترسيخ مُثل الاسلام[١١] خاصة ان لواء علي كان مع النبي في كل قتال وكل زحف وما كانت فروسيته التي توجز معاني الشهامة فيه، وما كان دمه وقلبه ولسانه إلا وقفا على ابن عمه النبي وعلى انجاح رسالته[١٢].

وبديهي ان تظهر التناقضات بين تلك التيارات عقب وفاة الرسول حول قضية الخلافة فلم يقع الاختيار على اساس الشورى بل كان مغالبة، وصراعا حُسم لصالح الارستقراطية الثيوقراطية، وقد استغلت الارستقراطية القديمة الفرصة لتعميق الخلاف بين الارستقراطية الثيوقراطية وشيعة علي كونها لم تستطع آنذاك المنافسة على الصدارة[١٣].

إن تجربة الحكم بعد الرسول ﷺ لم تكن واضحة المعالم والأسس، لعامة الناس، فقد

بدأت ببيعة الفرد الواحد في سقيفة بني ساعدة، ثم بولاية العهد من الخليفة الأول إلى الثاني، ثم بشورى محددة الشروط والاتجاه في عهد الخليفة الثالث، ثم بثورة تثير الشكوك في شرعيتها انتهت بمقتل الخليفة الثالث وإعلان البيعة للخليفة الرابع في ظروف فتنة عمياء تتقلب فيها المواقف وتتصارع فيها الأهواء بشكل متوتر أرهق المسلمين وأنهك قواهم، حتى انتهى الأمر باستشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعدم الوفاء بالبيعة للأمام الحسن عليه السلام من قبل أتباعه ومناصريه، مما اضطره إلى عقد صلحه المشهور مع معاوية وتسليمه مكرها- ولكن بشروط محددة - خلافة المسلمين له، فحرص الأخير على تفسير الأمر للناس بأنه دليل على أحقيته بالحكم، وشرعيته الإلهية في تسنم مقعد الخلافة(١٤).

لتنهض التجربة الاموية وتتسيد المشهد وترث امبراطورية واسعة خلَّفها العصر الراشدي، ما شجع معاوية رائد الدولة الاموية وشيخها على ابتداع سننا جديدة " لتأصيل الارستقراطية الاقطاعية وسيادتها، اسفرت عن ربط الاقطاعية بالدولة فاعطت للنمط الاقطاعي قوة مستمدة من قوة الدولة وسطوتها فترسخت ابانها جذور الاقطاعية على اساس التوريث وادى ذلك بالضرورة إلى ردود فعل اثرت على طبيعة تكوين الانماط الاخرى الهامشية"(١٥)، فكيف حدث ذلك ؟ وهل يمكن في ضوئه تفسير تاريخ هذه الحقبة تفسيرا سوسيولوجيا؟ ذلك ما سنحاوله.

المحنة الكبرى: قيام الدولة الاموية:

استغل معاوية بن ابي سفيان الدين ورجال الدين بذكاء ودهاء ومنهجية وذلك لإضفاء الشرعية على حكمه - الذي اغتصبه بالحرب والمكر والمال- وحكم ابنه يزيد وحكم اسرته بني امية من بعدهما، فقد كان معاوية سياسيا مخادعا وداهية بعيد النظر، استغل بعض الشخصيات التي تلبست بمظاهر الدين في تدعيم ملكه وسلطانه وقدمت له الأسانيد الدينية والمبررات الشرعية للتمادي في الظلم والاضطهاد واستغلال عباد الله، فجعلوا من الروايات الكثيرة التي ألَّفوها وتناقلها مرتزقتهم وذوي العقول المنساقة ورائهم، المرجع والفيصل لشرعيتهم الجديدة، وان ناقض الكثير منه القرآن أو ناقضت الروايات بعضها بعضا أو كان ما هو منقول ومتواتر منافيا لأحكام العقل والمنطق والفطرة السليمة، وان لم يجدوا له ما يبرر ذلك العمل فيكون قد (اجتهد فاخطأ)!!!

بهذا المنهج الغادر والفكر الماكر في الاحتيال والتظليل اصبح معاوية (تلقائيا) قدوة لمن اتوا من بعده من خلفاء بني امية وخلفاء بني العباس ومن سلاطين آل عثمان وغيرهم من الحكام الجائرين الذين حكموا باسم الدين، وهو لا يزال قدوة حتى لهؤلاء الحاكمين باسم الدين في عصرنا الحالي.

ذكر الجاحظ في (رسائله) استيلاء معاوية على الحكم بقوله:" فعندها استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه (عام الجماعة) وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا، والخلافة منصبا قيصريا"[١٦].

بعد ان استقرت الامور لمعاوية عمل على تطبيق مبدأ الوراثة في الحكم حينما رأى أن يعهد لابنه يزيد بالخلافة، انطلاقا من غريزة حب الديمومة والبقاء لدى الانسان، خاصة إذا ما علمنا انه وطول مدة حكمه والتي امتدت لاكثر من عشرين سنة كان يهدف لتأسيس امبراطورية على غرار الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية وهذا الحلم كان يراوده منذ ان كان والياً على الشام ايام خلافة عمر بن الخطاب، حتى وصل الامر بتسميته بـ(كسرى العرب)[١٧] فقد سلك معاوية في الشام مسلك الاكاسرة والقياصرة، وكأنه اراد اعداد المجتمع الشامي اعدادا خاصا يجعله يؤمن بمبدأ الطبقية ويغفل مبدأ المساواة الذي جاء به الاسلام[١٨].

بعد موت معاوية ملك ابنه يزيد فكان موفور الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر... وكانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر، ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي عليه السلام، وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام، وفي السنة الثالثة غزا الكعبة[١٩].

عملت السلطات الأموية على فرض البيعة ليزيد وإكراه الناس عليها بحكم الأمر الواقع وحاولت إلباسها ثوب الدين والصلاح، وكأنها قضاء وقدر لا يُردْ، "ولو سلمت الأمة وخضعت لهذه الإرادة الأموية، لأصبح يزيد من ولاة الأمر الواجب طاعتهم، ولنظرت الأجيال اللاحقة لحكمه وحكم أمثاله على أنه حكم شرعي لا غبار عليه"[٢٠]. ومن المسلّم به أن الامام الحسين بعد اغتيال أبيه وأخيه أصبح المؤتمن الوحيد على خط الرسالة والعقيدة

الدينية، وعندما خرج الحسين إلى العراق لم يكن يستهدف الحرب من أجل الانتصار السياسي، بل كان هدفه المطلق هو انتصار العقيدة الدينية التي خضعت لأسوأ ألوان التشويه والانحراف(٢١).

ملحمة الطف:

لم يُرَ في التاريخ أن أحد الروحانيين وأرباب الديانات سلّم نفسه للقتل عالًما عامدًا لأفكارٍ عالية متأخرة؛ أي أن كل واحد من أرباب الديانات الذين قُتِلُوا هجم عليهم أعداؤهم وقَتَلوهم عنفًا وظلمًا، وعلى قدر مظلوميتهم كانت قوة الثورة من بعدهم، ولكن واقعة الحسين عليه السلام كانت عن علم وحكمة وسياسة وليس لها نظير في تاريخ الدنيا، فقد تأهب الحسين عليه السلام للقتل سنين متوالية ونظره ممدود إلى مقاصد عالية جدًا، ولم يوجد في التاريخ أحد سلّم نفسه للقتل عالًما عامدًا لترويج دينه في المستقبل سوى الحسين عليه السلام(٢٢).

خرج الامام الحسين من عاصمة جده متوجها نحو العراق مارا بمكة معلناً انتفاضته ورفضه لسلطان بني امية تلك الغدة السرطانية التي انهكت جسد المجتمع الاسلامي قائلا عباراته المشهورة التي اصبحت شعارا لكل الثائرين: (.. فمثلي لا يبايع مثله) و(ما خرجت أشرا ولا بطرا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر..)، و(إن الدعي ابن الدعي ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة)، وقوله: (إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما)؛ وبإطلاقه لهذه العبارات المدوية تفجرت الثورة الحسينية المباركة.

نزل الامام الحسين عليه السلام واصحابه في كربلاء في الثاني من المحرم (٦١هـ/٦٨٠م)(٢٣)، "بعد مسيرة طويلة استمرت اياما وليالي، كان فيها الكثير من المواقف والاحزان والصبر على ملاقاة المصير"(٢٤)، فألتقى الجمعان يوم عاشوراء سنة ٦١ هجرية المصادف ٦٨٠/١٠/١٢، حسب التاريخ الميلادي، فتصدى الامام الحسين عليه السلام، واهل بيته وعياله، واصحابه الثلاثة والسبعون لجيش عمر بن سعد البالغ عدده نحو ثلاثين الفا، حسب كتب التاريخ الاسلامي، سطَّر فيها الثوار اسمى معاني الجهاد والبطولة والشهادة في مواجهة اعداء اللّه والاسلام، حتى استشهد آخر من بقي مع الامام الحسين عليه السلام، وصولا إلى استشهاده هو نفسه على يد اعداء اللّه والدين والانسانية، وبطريقة لم يشهد التاريخ اقبح ولا اقسى ولا أمر منها.

"لا يمكن الوقوف عند كل التفاصيل الجسيمة والاحداث العظيمة التي شهدتها واقعة الطف في هذه النظرة التاريخية المختصرة، الا انه من الاهمية بمكان ان يمر البحث على اهم النقاط المضيئة، والمواقف الكبيرة"[٢٥] التي اعطت لواقعة الطف هذا الزخم التاريخي العظيم وهذا الخلود الانساني العجيب ليس فقط على مستوى الحدث التاريخي فقط بل، لأنها تجاوزت محليتها الجغرافية والإسلامية بكفاءة، وبرقت صورتها وأبعادها وقسماتها في الأنساق المختلفة سياسية، واجتماعية، وثقافية، وفكرية، وأخلاقية، وغير ذلك من توصيفات صنعته آثارها في ذاكرة الفكر الانساني بشكل عام.

يقول انطوان بارا في هذا الصدد:" ما اجدر بثورة كثورة الحسين من ان توصف بالشمولية فهي ثورة لكل انسان فوق هذا الكوكب مسلما كان ام غير مسلم وهذا بعض ما يجب ان يقال بحق هذه الثورة التي كانت وستبقى الثورة المثالية والرائدة بلا منازع"[٢٦].

اعتقد ان ما ورد في كتاب (الفخري في الاداب السلطانية) لإبن الطقطقي يختصر الكثير من الجمل والعبارات التي يمكن ان تعبر عما اود الافصاح عنه، وبشكل مختصر، ولا اجد افضل منها في هذا المقام، حيث يقول: "هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاماً لها واستفظاعاً. فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشاً منها، ولعمري إن قتل أمير المؤمنين، عليه السلام، هو الطامة الكبرى، ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي أو التمثيل ما تقشعر له الجلود، واكتفيت أيضاً عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها أشهر الطامات، فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضي بشيء منها ولا تقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وجعله من الأخسرين أعمالاً"[٢٧].

استقبل يزيد بن معاوية ونظامه الاموي خبر قتل الحسين عليه السلام وصحبه بالفرح والبهجة واظهروا شعورهم بالراحة والغبطة ولم يعف بعضهم عن اظهار الشعور بالتشفي والشماتة بل يبدو ان قدوم السبايا اتخذ مناسبة شعبية فرحة استخدمت فيها الموسيقى والاهازيج ولم يكتم يزيد سروره حين ادخلوا عليه السبايا ورأس الامام الحسين عليه السلام في مجلس حافل وكذلك الحال بالنسبة إلى بقية رجال النظام امثال عبيد الله بن زياد ومروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بن العاص وغيرهم وقد عبروا عن غبطتهم بعبارات سجلها الرواة ونقلها المؤرخون[٢٨].

لكن سرعان ما اكتشف رجال النظام ان المسألة لا تدعو إلى البهجة ابدا وانها ليست بالبساطة التي تصوروها، فلم تكن هذه الثورة تمردا بسيطا امكن القضاء عليه بسهولة واستراح النظام من خطره فقد اكتشفوا ان فشل الثورة ولَّد اخطارا كبرى ما كانت موجودة من قبل، فقد تفجر الموقف كله ودفع مقتل الحسين عليه السلام بشيعة اهل البيت إلى التصلب في مواقفهم بعد ان كانوا اميَّل إلى المهادنة والتسامح كما ان تصفية الثورة والثوار بتلك الصورة البشعة، جعل جماعات كبيرة من المسلمين تغير موقفها من الامويين ودولتهم[٢٩].

كانت كربلاء معركة بين أعلى درجات الطهارة والصدق والاستسلام لله، وبين أدنى درجات الجحود والفسوق والتنكر لله، وخلافاً لكل معارك التاريخ فإن المنتصر خرج منها مهزوماً. وخرج الضحية منتصراً.. يكرّس انتصاره جيلاً بعد جيل جميع احرار العالم في مشارق الأرض ومغاربها[٣٠].

افرزت واقعة الطف قوتين وإرادتين مختلفتين متضادتين في كل شيء، اوغلت احداهما بالبطش والقسوة والاجرام، لإجل مصالح دنيوية زائلة، فتجاوزت كل حدود الطغيان، وجادت الثانية بكل ما لديها وبأعز ما تملك لأجل قيم أخروية باقية أزلية، فتجاوزت كل حدود الجود والسخاء، ضاربة اروع الامثلة في التضحية والفداء. اسست الاولى بجبورتها وطغيانها مملكة دموية، واسست الثانية بتضحيتها وسخائها ثورة تحررية، فاصبحت الاولى رمز للشر والبغي والطغيان على امتداد التاريخ الاسلامي عنوانها يزيد واصبحت الثانية رمز للخير والعطاء والاصلاح إلى قيام يوم الدين عنوانها الحسين.

مفهوم العزاء:

العزاء في اللغة مشتقة من الفعل عزَّى: إذا صبّر المصاب وواساه، والعزاء: الصبر عن كل ما فقده الانسان، وأمرته بالعزاء فتعزى تعزياً أي تصبر تصبراً، وتعازى القوم: عزى بعضهم بعضاً، وعزيت فلانا أي آسيته[٣١].

أما اصطلاحاً: هو الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة[٣٢]، وحمل المصاب على الصبر بما يُذكر له من وعد الله تعالى للصابرين من عظيم الأجر وحسن العاقبة[٣٣].

لقد اتَّبع المجتمع العربي عادات وتقاليد ورسوم في ممارسته لحياته اليومية، ولعل مفردة العزاء من المفردات الاجتماعية التي عرفها العرب ومارسوها منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى ظهوره مع اختلاف بسيط في طرق التطبيق، والعزاء يرتبط بالموت ارتباطا وثيقا وهو بذلك مبني على أساس الموت الذي لا مفر منه، لان الإنسان لا يستكمل حد الإنسانية إلا بالموت، أي أن الموت مرحلة من مراحل الحياة، ولابد لأي إنسان أن يمر بتلك المرحلة التي تعد آخر مراحل حياته[٣٤].

اعتادت المجتمعات الإنسانية على بكاء الميت، كيف لا وللميت اهل واعزاء سيفتقدونه للأبد، وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تشير وتؤكد حتمية الموت ومنها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٣٥]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[٣٦]، وقوله تعالى مخاطبا الرسول الكريم ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣٧]، الا ان كلمة (تعزية) لم يرد ذكرها في القران الكريم، ولكن وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على التعزية ومنها قوله ﷺ: " التعزية تورث الجنة "[٣٨]، وقوله ﷺ: "من عزى مصابا فله مثل أجره"[٣٩]، وقوله ﷺ: "من عزى حزينا كُسِيَ في الموقف حلة يجبر بها"[٤٠]. وعلى هذا الاساس فقد تواصل المجتمع الاسلامي في تطبيق هذه الشعيرة وحرص المسلمون على تقديم ما يمكن تقديمه من كلام حسن وموعظة شافية ومودة خالصة وحزن باكٍ وتخفيف ما يمكن تخفيفه من ألم ولوعة إلى صاحب العزاء[٤١].

فالعزاء هو ذلك الدواء الذي طالما كان يبحث عنه اصحاب المصيبة، فلا يجدوه إلا حينما يفد إليهم من يشاركهم مصيبتهم ويُسلِّيهم عن مصابهم ويقدِّم لهم تلك المعونة المعنوية أو حتى المادية في بعض الاحيان والتي يكون لها بالغ الاثر في التخفيف عنهم ومواساتهم بالاضافة إلى إلى ما تتركه من اثرا طيبا في نفوسهم.

وقد آثر عن المسلمين في حياة الرسول ﷺ انهم بكوا بكاءاً شديداً لفقدهم اعزتهم شهداء معركة احد، الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام وأصحابه[٤٢] وفي وفاة الرسول ﷺ بكى جميع المسلمين على نبيهم[٤٣]، كتعبير عن حالة الحزن التي عاشوها اثر فقد نبيهم نبي الهدى والرحمة والإنسانية، فالعظماء كانت تحزن عليهم الخاصة والعامة لثقلهم السياسي والعسكري والاجتماعي، فكيف الحال إذا كان الفقيد نبي الأمة الإسلامية ورمزها وقائدها وسيدها.

مفهوم العزاء الحسيني:

من المقدمة اعلاه يتبين لنا ان التعزية هي من الاعراف الاجتماعية الحسنة والحميدة التي اعتاد العرب عليها واقرها الاسلام واثاب فاعلها، فغدت بعد ذلك" ظاهرة دينية - شعائرية لها خصوصية وفرادة في العالمين العربي والاسلامي فهي عزاء ومواساة في الحزن عند حدوث وفاة بصورة عامة، غير انها بمرور الزمن اتخذت معنى وخصوصية، وهي اظهار الحزن والاسى في شهر محرم وصفر من كل عام وبخاصة في اليوم العاشر من شهر محرم المعروف بيوم عاشوراء وهو يوم استشهاد الامام الحسين في كربلاء، والاحتفال بيوم الأربعين، والذي يأتي بعد يوم عاشوراء في أهميته ويصادف في العشرين من صفر من كل عام، وعادة ما يرافق تلك الشعائر أفعال بشرية معنوية كانت أو مادية لا تكتمل الشعيرة ولا تتواصل إلا بها، وأولها قول الشعر في الحسين ولا يكون هذا الشعر إلا رثاءً، من الفعل رثى يرثيه إذا بكاه بعد موته وعدد محاسنه ونظم فيه شعراً، والشعر عادة يكون إما ملقى في تجمع ما، أو مقروء، وترافق ظاهرة الإلقاء أو القراءة عادة - لمن يحمل عاطفة جياشة - البكاء والنحيب..فأصبحت ظاهرة (التعزية) بالنسبة للمسلمين الشيعة على وجه الخصوص، تعني قبل كل شيء، الاحتفال بذكرى استشهاد الإمام الحسين وإقامة العزاء له، وكذلك على الأئمة الآخرين من آل البيت، وتقام مجالس التعزية عند قبور الأئمة وفي المساجد والحسينيات والتكايا وكذلك في بيوت العوائل"[٤٤].

تقام مجالس التعزية الحسينية أو (القراية) كما تسمى في العراق من تجمع عدد من الافراد والجماعات في ساحة مسجد أو حسينية أو قاعة عامة أو في احد بيوت الوجهاء والاغنياء من الناس والتي تقام في الاغلب لمدة عشرة ايام متتالية حيث يقوم خطيب أو (قاري) بقراءة كل يوم قصة موضوعها المأساة الدامية التي وقعت في كربلاء وما يرتبط بها من تضحيات وما حل بآل البيت من قتل وسبي وتشريد، وغالبا ما يوضع في واجهة القاعة أو في وسطها منبرا مكسوا بالسواد، يرتقيه القارئ فيفتتح المجلس بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يبدأ بمقدمة قصيرة يتناول فيها شرح آية قرآنية أو حديث نبوي شريف أو موعظة من مواعظ اهل البيت أو قصة تاريخية ذات محتوى ديني أو اجتماعي ثم يتحول إلى ما يقاربها من احداث وقعت في كربلاء ليقارن بينهما باسلوب منطقي ولكنه عاطفي ورقيق يثير الحزن

والاسى في النفوس مثلما يثير الحماس والغضب، كما ينشد الخطيب بين فترة واخرى ابياتا من الشعر الشعبي يرثي به الشهداء بلحن جنائزي حزين يثير العواطف ويحرك الوجدان ويستدر الدموع الحارة، فينفجر الحاضرون بالبكاء والنحيب[٤٥]، ويُختتم المجلس في الغالب بالدعاء، وفي بعض الاحيان يُختتم بـ(اللطمية) وهي مراثي حسينية حزينة من الشعر الشعبي أو من الشعر الفصيح سواء كان شعرا حرا أو موزونا ومقفًى تنشد من قبل (الملا) وتكون مصحوبة بحركات ايقاعية رتيبة من الحضور وذلك بضرب باطن اليد على الصدر أو على الفخذ، ثم يعمد (الملا) إلى تصعيد الموقف وزيادة حرارته، فتزداد معه سرعة حركة اليد وضرباتها على الصدر، بعدها يختتم الملا المجلس بالدعاء وقراءة سورة الفاتحة لآل البيت عليهم السلام، ويستمر مجلس اللطم في العادة بين النصف ساعة أو الساعة.

اعتاد الشيعة في الايام العشرة الاولى من شهر محرم، ان يقرأ الخطيب لهم في كل يوم قصة معينة تتحدث عن مأساة تخص شهداء كربلاء وبطولاتهم في المعركة، حيث تكون الايام الستة الاولى مخصصة لذكر قصص (استشهاد سفير الامام الحسين مسلم بن عقيل واولاده وانصار الحسين وبخاصة الحر الرياحي وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة) فتقسَّم هذه الايام فيما بينهم بالتتابع، لكل واحد منهم يوم، في حين يخصص اليوم السابع لقصة استشهاد العباس بن علي عليه السلام، اما ليلة الثامن فهي الليلة المختصة بقصة استشهاد القاسم بن الامام الحسن عليه السلام وهنا تخرج المواكب بمراسيم خاصة وتسمى(زفة القاسم)، اما اليوم التاسع وهو اليوم الذي يخصص نهاره لذكرى استشهاد علي الاكبر بن الامام الحسين عليه السلام وهناك مراسيم خاصة اخرى لهذا اليوم، اما ليلة العاشر فهي الليلة المختصة بأستشهاد عبد الله الرضيع ابن الامام الحسين عليه السلام، وقد اعتاد الشيعة احياء ليلة العاشر حتى الصباح بالمواكب واللطم ومجالس العزاء، اما اليوم العاشر يوم المصيبة التي سرت على اهل البيت عليهم السلام (عاشوراء) فيُخصص لقراءة مقتل الامام الحسين عليه السلام واهل بيته وصحبه[٤٦].

وإذا كانت مراسيم العزاء الحسيني قد اقتصرت بشكل عام على شهري محرم وصفر من كل عام، فإن مجالس العزاء الحسيني(القراية) ظلت وما زالت مستمرة على طول ايام السنة وبشتى المناسبات الدينية والاجتماعية.

فلم يكتفِ المسلمون الشيعة باقامة مجالس العزاء الحسيني في موسم عاشوراء أو

بمناسبات استشهاد ائمة اهل البيت الاخرين، وانما اعتادوا ايضا على عقد مجلس العزاء الحسيني في اختتام مجالس عزاءاتهم الشخصية (المأتم) أو ما يصطلح عليه باللهجة الدارجة(مجلس الفاتحة) عند وفاة احد ذويهم، ويأتي ذلك من باب التسلية والتصبر لفقدهم، فضلا عن عظيم الاجر والثواب الكبير الذي سيناله صاحب العزاء- حسب اعتقادهم- فهم مؤمنون تمام الايمان ان مصابهم مهما كان عظيما ومؤلما فلن يرتقي لمصاب الامام الحسين عليه السلام وتضحيته، وهذا المجلس هو نفس مجلس العزاء الحسيني العاشورائي بالضبط، الا انه يختلف عنه في انه لا يتحدد بأيام عاشوراء، وانما يُعقد في مساء اليوم الثالث (لمجلس الفاتحة)، وهناك فرق اخر هو ان القارئ قبل ان يرتقي المنبر يسأل عن جنس المتوفى وعمره لكي يقرأ قصة من قصص شهداء واقعة الطف وبطولاتهم تتناسب مع خصوصية مجلس الفاتحة فاذا كان المتوفى شاباً يخصص المجلس لذكر بطولات الشباب من اهل البيت واصحابهم وتضحياتهم في كربلاء وإذا كانت المتوفاة امراة فيخصص المجلس لذكر مواقف النساء وشجاعتهن وصبرهن في تلك الواقعة وهكذا مع البقية، سواء كان طفلاً أو صبيا اوبنتا أو كهلاً.

"هذا يعني أن الشعائر مهما كانت بسيطة أو معقدة، جماعية أم فردية تعتبر ترجمة وأداء للاعتقاد[٤٧]، وفي النص القرآني نقرأ ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾[٤٨]، وفي النص أيضاً ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾((لا تحلوا شعائر الله))[٤٩]، أي ما يهدى إلى بيت الله، وسميت بذلك لأنها تشعر، أي تعلم بأن تدمى بشعيرة، أي حديدة يشعر بها.. فهل كان دم الحسين عليه السلام شعيرة الإسلام التي أهديت إلى الله؟ لا نجيب بل نذكّر بقول الإعلامية الرسالية الأولى، زينب عليها السلام حين توجهت إلى الله سبحانه وتعالى بقولها: اللهم، تقبَّل منا هذا القربان"[٥٠].

المبحث الاول

سوسيو- تاريخية العزاء الحسيني

النشأة والتطور:

إن قضية كربلاء بأحداثها الأليمة الدامية ومأساتها المروعة - والتي افجعت قلوب المؤمنين عامة واهل البيت عليهم السلام خاصة - كونت الجذور العميقة لمراسيم العزاء الحسيني بعد

الواقعة مباشرة واستولدت شعائر وطقوس نشأت وتطورت باشكال عدة ومنها البكاء واللطم واقامة مجالس ومواكب العزاء واعلان الحداد ونشر السواد في المدن والقرى وكانت نقطة انطلاقها ارض كربلاء، ثم انتشرت في جميع مناطق العراق إبان الحكم البويهي، وبعدها انتقلت إلى ايران في القرن السادس عشر فترة استلام الصفويين الحكم، فكان لهم الدور في انتقالها إلى اذربيجان والاناضول وبعض مناطق سيبيريا وعدد من الدول الاخرى، حتى اصبحت الان تعم معظم دول العالم.

تعود أقدم المؤشرات التاريخية على نشوء الشعائر الحسينية إلى ما كان يقوم به جماعة من اهل الكوفة - شعرت بثقل الذنب ومرارة الندم نتيجة عدم نصرتها الامام الحسين بعد أن وعدوه النصر وعاهدوه على الثورة - بالذهاب إلى كربلاء لقراءة الفاتحة والترحم على الحسين عليه السلام وانشاد القصائد الرثائية بحقه ويصاحب ذلك غالبا البكاء والنحيب وخاصة يوم العاشر من محرم من كل عام وإظهار الندم وطلب المغفرة عند قبره، الا ان تلك التجمعات والاحتفالات لم تكن عادات راسخة ذات مراسيم دينية ثابتة، بل كانت مجرد شعائر رمزية عمل الزمن والأحداث على تطويرها بالشكل الذي نراه اليوم(٥١).

إن الصدمة الشديدة التي خلفتها احداث كربلاء والاثار النفسية البليغة التي تركتها في ضمير كلّ مسلم استطاع نصره ولم ينصره، وسمع واعيته فلم يُجبها، هذا الشعور بضخامة الاثم حدا بالكثيرين نحو تنظيم صفوفهم وتشكيل منظمة سرّية، ما لبثت حتى تحوّلت إلى منظّمة كبرى تحمل اسم (التوابين)، فصارت هذه التسمية هي الغالبة على حركة سليمان بن صُرد الخزاعي ورفاقه، "وهي منبثقة عن الآية الكريمة التي أصبحت الشعار الرئيسي لهم في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٥٢)"(٥٣)، ولقد كونت تلك الحركة النواة الرئيسية لتجديد ذكرى الطف، يقول ابن الأثير عن التوابين: "ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين، فلما وصلوا صاحوا صيحةً واحدة، فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم، فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه، وكان من قولهم عند ضريحه: اللهم ارحم حسيناً، الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي، الصدّيق ابن الصدّيق، اللهم إنا نُشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء

محبيهم، اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا، ﷺ، فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نُشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين! وزادهم النظر إليه حنقاً... ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له"[٥٤] وازدحموا على لثم القبر كازدحام الحجاج على لثم الحجر الاسود في الكعبة[٥٥] فكانت هذه المراسيم هي شرارة ثورة التوابين والثورات والانتفاضات التي تلتها وقد استمدت منها قوتها وحيويتها.

واستمرت حركة الدعوة لإحياء مراسيم عاشوراء دون توقف واخذت بالاتساع وغدت أكثر تنظيماً وفعالية بمرور الأيام، فبحسب مصادر تاريخية موثوقة فان المختار بن يوسف الثقفي كان اول من اقام احتفالا تأبينيا في داره في الكوفة بمناسبة يوم عاشوراء وانه ارسل بعض النادبات إلى شوارع الكوفة للندب على الحسين[٥٦].

وقد تطورت مراسيم البكاء (النياحة) إلى قراءة (مقتل الحسين) لابن نما الحلي ثم السيد ابن طاووس ضمن منهاج المجالس وهذان المقتلان هما من أوائل المقاتل التي تتحدث تفصيلياً عن المآسي الدامية لواقعة كربلاء وكان القراء يقرؤون المقتل بصوت شجي يستدر دموع المستمعين ومن ذلك الحين اطلق على الذين ينوحون على الحسين بـ(القراء) ومفردها قارئ، ولا يزال القراء حتى اليوم في العراق يعرفون بقراء المجالس الحسينية[٥٧].

لم يثبت العزاء الحسيني على صيغة واحدة في العصور المتعاقبة بل تطور وتغير خلال الفترات التاريخية ودخلته عناصر لم تكن موجودة فيه من قبل[٥٨] فمراسيم البكاء التي كان يقيمها أهل البيت واتباعهم، اصبحت شعائر ثابتة في عهد الأمراء البويهيين واتسع نطاق اقامة مجالس العزاء على الحسين في عهدهم، فهم اول من وسعوها واخرجوها من دائرة النواح الضيقة في البيوت والمجالس الخاصة والنوادي الهادئة وعلى قبر الامام الحسين بكربلاء إلى دائرة الاسواق العلنية والشوارع المتحركة، وتعويد الناس على اللطم على الصدور، وهم أول من جعل يوم العاشر من المحرم يوم حزن لذكرى واقعة كربلاء بصفة رسمية في عهد معز الدولة البويهي، الذي اصدر سنة ٩٦٣م امر اعلان الحداد العام في العاشر من محرم الحرام فكانت بموجبه تغلق الاسواق ويعطل القصابون اعمالهم ويتوقف الطباخون عن الطبخ وتفرغ الاحواض والصهاريج من الماء وصارت الجماعات من القائمين

بهذا المأتم تجوب اسواق بغداد باعلامها الخاصة لاطمة صدورها ورؤوسها، كما ان السلطان معز الدولة كان يرتدي رداء الحداد والحزن ويتقدم عسكره المشترك في هذا المأتم، وكانت تُقرأ في ذلك اليوم المراثي والمناحات ايضا فكانت عادة احياء العشرة الاولى من شهر محرم في عهد هذا السلطان من اشهر العادات وابعدها صيتا بين العادات والاعراف الشيعية المألوفة[٥٩] والتي لا زالت مستمرة منذ ذلك التاريخ وحتى وقتنا الحاضر.

نخلص من هذه العُجالة التي ذُكرت اعلاه ان مراسيم العزاء الحسيني وللفترة الممتدة من سنة ٦١هـ وإلى ما قبل سقوط بغداد تطورت تطورا كبيرا من حيث الشكل ومن حيث المحتوى - رغم التحديات الجسام التي واجهتها فترة حكم الامويين والعباسيين والسلاجقة الذين حكموا العراق بعد البويهيين - "وغدت مجالس العزاء الحسيني مزيجا من الشعر والنثر، فالنثر يحكي قصة المأساة بروح تاريخية فضائلية وبقدر من التعبيرات العاطفية والشعر يلوّن القصة ويضفي عليها طابعا فنيا مأساويا حزينا... ولا نقول ان الخطيب الحسيني الذي نعرفه الان كان قد وجد في هذه الفترة وانما نقول ان سلف هذا الخطيب كان قد بدأ يتكون"[٦٠].

غير ان الوضع قد تغير عند مجيء الصفويين للحكم في ايران بداية القرن السادس عشر واعلانهم المذهب الشيعي مذهبا رسميا للبلاد واستخدامهم مراسيم العزاء الحسيني سلاح سياسيا ودعائيا لنشر التشيع وبسط نفوذهم في جميع انحاء ايران مما ساعد على نشر العزاء الحسيني وتطوره، فكان لهم تاثيرا في انتقال مراسيم العزاء الحسيني إلى الهند واذربيجان التركية والانضول وبعض المناطق في سيبريا[٦١]، واصبحت المواعيد الزمنية لمراسيم العزاء الحسينية اكثر ثباتا وتنظيما كما ان العناصر البشرية المتفرغة لها من نواحٍ ومنشدين وقصّاص صاروا اكثر عددا، الا ان مراسيم العزاء في هذه الفترة فقدت دلالتها السياسية والاجتماعية، وغدت عملا اخرويا محضا واصبح نقد الامويين والعباسيين - الذين لم يعد لهم وجود في الحياة السياسية في العراق وايران وغيرهما من البلاد الاسلامية - نقدا مباشرا صريحا، ونعتقد ان هذا النقد كان يتضمن موقفا من السلطات المعاصرة نابعا من وعي واضح لدلالة الذكرى الحسينية من باب اياك اعني واسمعي ياجارة[٦٢].

إلاّ ان السمة البارزة لهذه الفترة ان مراسيم اللطم اصبحت عنصرا اصيلا في مجالس العزاء الحسيني في العراق وايران وكان هذا اللطم من العادات التي ادخلها البويهيون كما

ذكرنا سابقا، وقد رافق اللطم نشوء نوع من الشعر المرقع بالفصحى والعامية كان المأتم يبدأ به ويرافقه لطم على الصدور مع تعرية القسم الاعلى من الجسم أو من فوق الثياب[٦٣].

"اما خلال فترة حكم العثمانيين العراق فقد حدث مرارا وتكرارا ان اصدر الولاة مراسيم بمنع وتحريم القيام بالاحتفالات بيوم عاشوراء مما اجبر البعض من الشيعة إلى ان يقيموا مجالس العزاء في بيوتهم وبخاصة في بغداد والكاظمية"[٦٤].

شهدت فترة حكم العثمانيين للعراق في بعض مراحلها انفراجا سمح بأقامة مراسيم العزاء الحسيني نتيجة لظروف معينة فرضها الواقع السياسي لتلك الحقبة فعلى سبيل المثال" انتهز البعض فرصة انعقاد صلح بين داود باشا والحكومة الايرانية عام ١٨٢١م فأقاموا مجالس التعزية علنا، وقد تم عقد ذلك الصلح في الحقيقة بتوسط من قبل احد علماء النجف وهو الشيخ موسى كاشف الغطاء الذي اقام اول مجلس عزاء بصورة علنية ومن المحتمل ان يكون هو اول خطيب من خطباء المنبر الحسيني في العراق تلك الفترة، فقد كان شاعرا وخطيبا نظَّم كثيرا من قصائد الندب والرثاء التي ألقاها وانشدها بنفسه في المجالس الحسينية بالفصحى وكذلك باللهجة الدراجة وقد بقيت قصائده حتى وقت قصير تتداول في مجالس العزاء الحسيني كما اصبحت بالتدريج نموذجا فولكلوريا تقليديا من قبل عدد كبير من شعراء المنبر الحسيني في النجف وغيرها[٦٥].

وفي الفترة التي اخذت مجالس العزاء بالتطور والانتشار في النصف الاول من القرن التاسع عشر، نشأت مواكب العزاء الحسيني وهي مسيرات شعبية تقام في العشرة الاولى من شهر محرم من كل عام كما هي معروفة في العراق اليوم وكان اول تلك المواكب (موكب اللطم) أو (اللطامة) الذي يتكون من مجموعة أو مجموعات من الرجال الذين يضربون بأيديهم على صدورهم المكشوفة ومن المحتمل ان يكون موكب الشيخ محمد باقر اسد الله (المتوفي عام ١٨٤٠) في الكاظمية من اوائل تلك المواكب[٦٦].

"ادت هذه التطورات – التي جعلت من مراسيم العزاء الحسيني مناسبة كثيرة التكرار على مدار السنة وتجتذب اعدادا كبيرة جدا من الناس – إلى انشاء اماكن خاصة بالمأتم الحسيني تسمى (الحسينية) أو (النادي الحسيني) وهي قاعة كبيرة مخصصة لاقامة مجالس العزاء الحسينية وقد غدت في السنين الاخيرة تستعمل في مناسبات دينية واجتماعية وثقافية

كحفلات التأبين والتكريم وما إلى ذلك... ويبدو ان هذه المؤسسة ليست حديثة التكوين بل ترجع إلى عهد قديم فقد قال السيد امير علي في كتابه مختصر تاريخ العرب: وكان من افخم عمارة القاهرة في عهد الفاطميين (الحسينية) وهي بناء فسيح الارجاء تقام فيه ذكرى مقتل الحسين في موقعة كربلاء"(٦٧).

تطورت فكرة الحسينيات حتى أصبح أتباع أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) يؤسسون (الحسينيات) ويبنونها في كل مكان يتواجدون فيه ويتخذون منها أماكن للمحافظة على ثقافتهم وعقائدهم وتأريخهم وكان أكثر ما يدور في تلك الأمكنة هو الحديث عن الحسين (عليه الصلاة والسلام) ومظلوميته، وفي بعض الأحيان يجعلون قسماً من البناء مسجداً حرصاً على البعد الديني والشعائري للمسجد، والقسم الاخر من البناء حسينية تمجيداً لذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام من ناحية، ولضمان المزيد من الحرية في العمل والنشاط من ناحية أخرى، وتنزيهاً للمسجد مما يمكن أن تتعرض له هذه الأماكن من مكروهات ومحضورات شرعية من ناحية ثالثة، خصوصاً أن جمهور فقهاء مذهب أهل البيت عليهم السلام يعتقدون بوجوب تنزيه المساجد من النجاسات والأقذار وحرمة استقرار الحائض والجنب في المساجد وكذلك كراهة الأكل والنوم وحضور الأطفال فيها، وهذه الأحكام لا تجري بطبيعة الحال على الحسينيات، كما أنه يكره القيام ببعض الأعمال في المساجد مما لا يسري إلى الحسينيات(٦٨).

وبذلك تحولت الحسينية إلى مؤسسة ثقافية أخرى - غير المسجد - اعتمدها أتباع أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) لنشر الثقافة السلامية، وأصبحت منطلقاً لمشروع مؤسسة ثقافية واسعة اختص بها أهل البيت عليهم السلام وهي الشعائر الحسينية. ويمكن اعتبار مؤسسة (الحسينية) -امتدادا لمؤسسة المسجد الإسلامية(٦٩).

كانت اولى الحسينيات التي شيدت في العراق هي (الحسينية الحيدرية) في الكاظمية عام ١٨٧٦م وقد تبعتها حسينية اخرى في بغداد ثم ثالثة في الكاظمية أيضاً... اما في كربلاء فقد تم بناء الحسينيات في اوئل القرن العشرين حيث شيدت اول حسينية لنزول زوار الامام الحسين وكذلك لاقامة مراسيم العزاء الحسيني عام ١٩٠٦ وكانت حسينية الشوشترية في النجف اول حسينية شيدت فيها عام ١٩١٣ وفيها اقدم مكتبة من مكتبات العصر الحديث في

النجف[٧٠]، ثم تعددت الحسينيات في المدن المقدسة وغيرها من المدن "وغدت هذه المؤسسة ظاهرة عامة لدى المسلمين الشيعة ففي كل بلد شيعي صغيرا أو كبيرا مهما كانت حالته الاقتصادية يشيد فيه بناء لهذا الغرض...وتتميز المدن الكبيرة بانها تضم عدة حسينيات وربما كان في الحي الشيعي الكبير في المدن الكبيرة عدة حسينيات[٧١].

ومنذ بداية القرن العشرين اتخذت المراسيم الحسينية شكلها وتركيبها شبه النهائي وانتشرت وترسخت واتخذت لها طابع فولكلوريا شعبيا وبخاصة في المدن المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية وكذلك في بغداد والبصرة فالى جانب مجالس التعزية اقيمت مواكب اللطم ومواكب الزنجيلة وكذلك تمثيل واقعة الطف ومقتل الامام الحسين (التشابيه)[٧٢].

وقد انبثق عن (النادي الحسيني) مؤسسة دينية - شعائرية اخرى وهي(هيئة المواكب الحسينية) والتي تتكون من عدد من الافراد الموسرين الذين يقومون على ادارتها ودعمها بكافة احتياجاتها، والتي انتشرت في الاونة الاخيرة بشكل غير مسبوق حتى فاقت اعدادها الآلاف في جميع مناطق العراق، ودور هذه المؤسسة هو رعاية مواكب العزاء الحسيني، والعمل على توفير كافة مستلزماتها وادواتها من آلات العزف والرايات والمشاعل ومكبرات الصوت والاضاءة وحتى (الزناجيل الحديدية) التي تستخدم اثناء خروج المواكب وهي تجوب الشوارع لتأدية طقوسها بالاضافة إلى ان هذه الهيئات لها سرادق عزاء خاص بها - إذ ان لكل واحدة من هذه الهيئات موكبا خاصا بها - ينصَّب من اليوم الاول لشهر محرم وإلى انتهاء العشرة الاولى من هذا الشهر ولكل هيئة ايضا اسم تتميز به عن باقي الهيئات الاخرى وهذا الاسم مأخوذة من شخوص كربلاء ودلالاتها الرمزية، ولها ايضا منشد خاص بها أو عدة منشدين يعملون على تنظيم قصائد الرثاء الحسيني - واغلبها بالهجة العامية- التي يلقونها اثناء خروج المواكب بصوت حزين يُثير حاملي الزناجيل الحديدة في الموكب فيضربون بها ظهورهم بحركة تراتبية مع لحن القصيدة وقرع الطبول، ويسيرون بنسق خاص اشبه ما يكون بالاستعراض العسكري.

وهناك هيئات اخرى خدمية يقتصر دورها على توفير الطعام والشراب والمبيت وحتى الخدمات الصحية من دواء وعلاج مجانا للزائرين المتوجهين نحو كربلاء لزيارة الامام الحسين عليه السلام في ذكرى اربعينيته التي تصادف في العشرين من شهر صفر؛ وهم يقطعون مئات

الكيلو مترات مشيا على الاقدام.

وقد كان لهذه الهيئات دوراً كبير في الاحداث الاخيرة التي مر بها العراق بدخول العصابات التكفيرة المتمثلة بـ(داعش) لبعض المحافظات العراقية وتهجير مواطنيها، فقد بادرت هذه الهيئات وتطوعت لدعم النازحين وإيوائهم وتوفير الطعام والشراب لهم واصبحت مقرات تلك الهيئات وحسينياتهم سكن للعديد من العوائل النازحة، ولم يقتصر دورها على دعم النازحين فقط وانما تعدى ذلك إلى دعم قوات الجيش والمتطوعين بحملات التبرع لتوفير الغذاء وحتى العلاج للمصابين والجرحى.

من هنا يتضح ان مراسيم العزاء الحسيني تطورت تطورا كبير في المجتمع ولم تقتصر على شكل واحد أو نسق محدد، بل هي تتجدد في كل عصر وجيل، بأبتداع اساليب وطرق جديدة غير مسبوقة للشعائر والطقوس العاشورائية.

الانطلاقة الاولى لمراسيم العزاء الحسيني:

اختلفت المصادر التاريخي في ضبط وتحديد بداية نشأة مراسيم العزاء الحسيني والانطلاقة الاولى لها، فمنهم من يؤرخ لها منذ اللحظة الاولى لتأسيس حركة التوابين كما اسلفنا سابقا، ومنهم من يقول أن أول مأتم أقيم بعد واقعة الطف مباشرةً تكوّن من السيدات والفتيات والعلويات وهن زوجات وأخوات وبنات الإمام الحسين عليه السلام والهاشميين الذين استشهدوا معه.. وقد عقد ذلك المأتم في العراء فوق ساحة المعركة[٧٣]، ومنهم من يذهب ابعد من ذلك ويحددها باللحظة التي ولد فيها الحسين وبكى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث تذكر بعض المصادر ان أول من أقام مأتماً على الامام الحسين عليه السلام هو جده رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها كتاب (اقناع اللائم في اقامة المآتم) للسيد محسن الأمين العاملي فهو يقول عن حادثة بكاء الرسول صلى الله عليه وآله على الحسين وبحضور جمع من الصحابة: "فهذا أول مأتم اقيم على الحسين عليه السلام يشبه مآتمنا التي تقام عليه وكان الذاكر فيه للمصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمستمعون أصحابه"[٧٤] والكتاب الاخر (سيرتنا وسنتنا) للعلامة عبد الحسين الاميني حيث يذكر: ان الرسول صلى الله عليه وآله اقام المأتم على الامام الحسين في اول ساعة من ولادته[٧٥] "وقد أحصى في كتابه عشرين مأتماً أقامها النبي صلى الله عليه وآله على سيد الشهداء ابي عبد الله عليه السلام وقد وثق كل مأتم بأسانيد عديدة من كتب الصحاح باسطاً البحث عن صحة

اسانيدها من كتب الجرح والتعديل، منها ستة مآتم في دار أم سلمة وثلاثة مآتم في دار عائشة ومأتم في دار زينب بنت جحش ومأتمين في حشد من الصحابة ومأتم في داره ﷺ ومأتم في دار أمير المؤمنين علي عليه السلام"[٧٦].

توضيح مهم:

اتفقت كتب الحديث والرواية سواء كانت من مؤلفات الشيعة أو من مصنفات إخواننا السنة على أن جبرئيل قد أوحى إلى النبي ﷺ بنبأ مقتل الامام الشهيد الحسين عليه السلام ومكان استشهاده[٧٧] وان حادثة بكاء الرسول ﷺ على الحسين عليه السلام قد اكدها واسهب فيها المؤرخون والكتّاب والباحثون ووثقتها كتب االصحاح وفي عدة موارد، الا انه لا يمكن عدّها اول مأتم حسيني أو مجلس عزاء، لأن المأتم والعزاء يتحقق بالوفاة كما ذكرنا تفصيل ذلك في التمهيد تحت عنوان (مفهوم العزاء)، فحادثة بكاء الرسول ﷺ على الحسين عليه السلام - والمتكررة في مواقف متعددة - هي اشبه ما تكون - مع الفارق طبعا - بشخص ما يعلم مسبقا ان ولده سوف يموت بعد مدة محددة بسبب مرضا معينا أو حادثة ما... هذا الشخص قطعا سيحزن ويبكي على ولده وهو لايزال حيا لكنه بنفس الوقت لا يسمح لاحد بان يعزيه بولده أو يطلب منه اقامة مأتم له حتى يتحقق الموت، نعم يمكن القول ان اول من بكى على الحسين منذ ولادته هو الرسول ﷺ لعلمه المسبق بما سيجري عليه وما سيلاقيه من امته، إلاّ انه لا يمكن اعتبار ذلك الانطلاقة الاولى للمآتم الحسينية ومجالس العزاء الحسيني.

السيدة زينب عليها السلام تنعى الحسين وتعلن بدء مراسيم العزاء الحسيني:

من غير الممكن لاي كاتب أو باحث مهما بلغ من العلم والمعرفة والدقة في البحث ان يتحدث عن واقعة الطف - وفي اي جانب من جوانب تلك الثورة العظيمة- ويغفل الدور الجليل للسيدة زينب عليها السلام في تلك الاحداث، لان كتابته ستبقى ناقصة وغير مكتملة المعالم، وقد لخص الشيخ باقر القرشي ذلك الدور واهميته في كتابه (السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الإسلام) بقوله: "إنّ من ألمع الأسباب في استمرار خلود مأساة الحسين عليه السلام واستمرار فعّالياتها في نشر الإصلاح الاجتماعي هو حمل عقيلة الوحي وبنات الرسول ﷺ مع الإمام الحسين، فقد قُمنَ بِبَلورة الرأي العام، ونَشَرن مبادئ الإمام الحسين وأسباب نهضته الكبرى، وقد قامت السيدة زينب عليها السلام بتدمير ما أحرزه يزيد من الإنتصارات، وألحقت به

الهزيمة والعار"[٧٨].

كانت السيدة زينب عليها السلام مهيأة نفسياً وذهنياً لتلك الواقعة وكانت تدرك جيدا إن الإمام الحسين انطلق إلى نهضة إصلاحية كبرى في أمة جده صلى الله عليه وآله، فلابد ان يكون للمرأة محط قدم في التأثير والبلاغ في هذه النهضة الإسلامية الإصلاحية، فهي تعلم منذ طفولتها الباكرة بأن تلك الحادثة ستقع وأنها ستلعب فيها دوراً رئيسياً بارزاً، تقول الدكتورة بنت الشاطئ: "افسدت زينب أخت الحسين، على ابن زياد وبني أمية لذة النصر، وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين وان كل الاحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية ثم تأصل مذهب الشيعة انما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته"[٧٩].

بالرغم من كثرة الكتابات والدراسات التي تناولت حياة السيدة زينب ودورها الكبير في واقعة الطف واتفاق جميع تلك الدراسات على ان زينب عليها السلام كانت "بمثابة الزيت الذي أضاء سراج ثورة الحسين والمنار الهادي لإحياء نهج الحسين، والنور الذي شعّ على الدنيا لفضح سيرة بني أمية"[٨٠]، وان خطبها وكلماتها كانت الشرارة الاولى للثورات والانتفاضات التي تلت واقعة الطف، الا ان تلك المؤلفات والدراسات لم تلتفت إلى قضية مهمة واغفلت عن غير قصد - حسب اطلاعي- ان زينب عليها السلام كانت اول من اعلن نعي الامام الحسين للعالم الاسلامي، واول من اقام العزاء على روحه الطاهرة؛ فالروايات تذكر انها حين سقط الامام الحسين شهيدا، اقبلت نحو ساحة المعركة وهي تشق صفوف الجيش تفتش عن الجثمان الطاهر لأخيها الامام العظيم فلما وقفت عليه شخصت لها ابصار الجيش، واستحال إلى سمع فجعلت تطيل النظر اليه ورفعت بصرها نحو السماء وهي تدعو بحرارة العقيدة وحماسة الايمان قائلة: اللهم تقبل منا هذا القربان[٨١].

قال الراوي: "فوالله لا أنسى زينب بنت علي وهي تندب الحسين، وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: وامحمداه، صلّى عليك مليكُ السماء، هذا حسينٌ مرمَّلٌ بالدماء، مقطَّعُ الأعضاء، وبناتُك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمَّد المصطفى، وإلى علي المرتضى، وإلى حمزة سيد الشهداء، وامحمداه، هذا حسينٌ بالعراء، يسفي عليه الصَّبَا، قتيل أولاد البغايا، يا حزناه، يا كرباه، اليوم مات جدّي رسول الله، يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذرّيّة المصطفى

يُساقون سوق السبايا"[٨٢].

وجاء في روايات اخرى أنها قالت عليها السلام: "يا محمّداه، بناتك سبايا، وذرّيّتك مقتَّلة، تسفي عليهم ريح الصبَا، وهذا حسين مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من عسكره في يوم الاثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطع العُرى، بأبي من لا هو غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء، بأبي من جدّه رسول إله السماء، بأبي من هو سبط نبيِّ الهدى، بأبي محمد المصطفى، بأبي خديجة الكبرى، بأبي علي المرتضى، بأبي فاطمة الزهراء سيِّدة النساء، بأبي من ردَّت عليه الشمس حتى صلَّى، قال: فأبكت والله كلَّ عدوٍ وصديق"[٨٣].

إن هول المصيبة، وعظم الفاجعة، وقسوة الحدث، لم تشغل العقيلة زينب عن أداء دورها الرسالي الخطير، في إعلان الظلامة، وتأجيج العواطف، والهاب المشاعر حتّى في نفوس الأعداء الظالمين، فهي" أمام لحظة تاريخية حساسة وخطيرة، وأمام موقف عظيم، لابد وأن تسجل شهادتها عليه للتاريخ"[٨٤].

فكان ذلك النعي وتلك الكلمات الخالدة - الصادرة من اعماق قلبها والتي هتفت بها في تلك الاجواء القاسية ووسط حشود من الوحوش والذئاب البشرية- ايذانا منها ببدء مراسيم العزاء الحسيني واول مأتم حسيني يقام على ارض كربلاء والشرارة الاولى لمآتم العزاء الحسيني على امتداد التاريخ الاسلامي.

المبحث الثاني

سوسيو ـ سياسية العزاء الحسيني

مرحلة التأسيس والتأصيل:

تُعد حركة التوابين النواة الرئيسية لتجديد ذكرى الطف فكانت اجتماعاتهم ومناقشاتهم - والتي تُعقد في إطار من السرِّية التامة- أشبَهَ ما تكون بالنقد الذاتي، لمحاسبة أنفسهم على التقصير الذي أظهروه إزاء الحسين عليه السلام، والتشاور على كيفية التكفير عن الذنب، وغسل العار الذي لحق بهم نتيجة هذا التخاذل، لذلك قرروا شد الرحال نحو

الحسين، "حاملين اليه آلامهم بكل تفجعها وذنوبهم؛وقد بلغت من الثقل حداً لا يطاق... وأي لقاء سيكون أشد ايلاماً وأقسى مرارة من لقاء التوابين بالحسين، لقاء المذنب المستغفر في حضرة صاحب الشفاعة، لقاء المتخاذل عن نصرة الحق في مقام شهيد الحق، فكانت تمثل مواجهة مباشرة مع الذنوب، مع الخطايا، مع الضمير الذي استفاق... مواجهة تجلت فيها ضخامة المأساة، وفوق ذلك كان تجمعهم حول قبر الحسين، جزءً من التحرك الذي حانت ساعة تنفيذه... فهو لن يقتصر على الانفعالات وطلب الغفران، وانما كانت له أيضاً أبعاده السياسية لتكريس الميثاق الذي التزموا به، ووضع أنفسهم في أجواء الشهادة التي بلغت أسمى درجاتها البطولية مع سقوط الحسين في كربلاء"[٨٥]... صارت تلك الساعة أشد ايلاماً وأقسى مرارة عليهم من اي ساعة مضت وقتلت لديهم كل احساس بالكبرياء ورغبة في العيش يقول الدكتور ابراهيم بيضون في كتابه التوابون: "وقد يذهب بنا الخيال بعيداً إلى ذلك الزمن، وينقلنا إلى تلك الارض، فنتصور رهبة اللقاء وضجيج التوابين وهم يدورون حول قبر الحسين، ينشدون بصوت موحد نشيد الغفران والتوبة، ويهزجون بايمان عميق اهزوجة الموت والشهادة"[٨٦].

مثّلت ثورة التوابين ذروة الفعل السياسي والاجتماعي لمراسيم العزاء الحسيني والانطلاقة الاولى للبعد السياسي للشعائر الحسينية، تلك الثورة التي تُعد الاولى بعد واقعة الطف المطالبة بالثأر من القتلة تحت شعار (يالثارات الحسين)، فصار هذا الشعار هتافا جماهيريا تطلقه آلاف الحناجر بوجه السلطة الاموية ولم تنفع اساليب القمع التي استخدمها الامويون في اسكات هذا الشعار الذي أصبح شعاراً للعديد من الثورات التي تلت ثورة التوابين وعلى امتداد التاريخ الاسلامي، من خروج المختار وثورة زيد الشهيد، مرورا بسقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية ثم تاصل مذهب الشيعة، إلى قيام الجمهورية الاسلامية الايرانية، والانتفاضات الشعبية ضد الأنظمة الاستبدادية التي حكمت العراق والأنظمة العربية الاخرى التابعة للإمبريالية العالمية. كلها قد انطلقت بفعل مجالس العزاء الحسيني واستندت اليها، يقول الامام الخميني في هذا الصدد:" إنّ إقامة مجلس العزاء ليس لأجل البكاء على سيّد الشهداء ونيل الأجر، طبعاً هذا موجود، لكن المهم البعد السياسي الّذي خطّط له أئمّتنا في صدر الإسلام ليبقى إلى النهاية، وهو الاجتماع تحت راية واحدة وتحت هدف واحد، ولا يمكن لشيء أن يؤثّر في هذا المجال بقدر تأثير عزاء

سيّد الشهداء"[٨٧].

لقد قدر لبقية آل البيت عليهم السلام أن يُلهبوا مشاعر المسلمين وأن يزيدوها حدة وحرارة من خلال رسمهم " التصميم العام لهذه الشعائر، وأعطوها أبعادها الدينية الكاملة، وحددوا الشكل والمضمون الذي يتناسب مع الدور المهم الذي لابد لها أن تؤديه، بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية"[٨٨]، وبالاضافة إلى مرويات أئمة اهل البيت الكثيرة التي اكدت على اهمية موضوع الحزن والبكاء لمصيبة الحسين والآثار المترتبة عليه، جسدوا ذلك عمليا ايضا من خلال سيرتهم المباركة في كل عصر وجيل تجدهم عند ذُكر الامام الحسين عليه السلام دموعهم تنهمر وبحرقة وغزارة، ولم يكتفوا بالبكاء عليه، والحزن لقتله، بل واستنشدوا الشعر في رثائه وترك السعي في الحوائج في مثل يوم قتله واتخاذه يوم حزن وبكاء وأمروا شيعتهم ومواليهم بأتباع ذلك، وحثوهم على، اقامة المآتم عليه[٨٩]، والتأكيد فيها على ذكر فضائل أهل البيت ومناقبهم، والإعلان عن مظلوميّتهم والعمل على سلب الشرعية من النظام الحاكم، ورواية مصائب الأئمة وحقوقهم المغتصبة... فكان اختيارهم لعنصر تحريك العواطف والأحاسيس اختياراً موفّقاً بوصفه عاملاً مساعداً في تحقيق بعض المرامي السياسية[٩٠]، وفي كثير من الحالات كان جانبها السياسي أكبر من جانبها العاطفي.

إنّ الالتفات إلى زمن صدور روايات اهل البيت الّتي تحث وترغّب الناس على إقامة المآتم على الإمام الحسين عليه السلام والاهتمام بمحتوى تلك المجالس يؤكد وبما لا يقبل الشك ان الغاية الحقيقية من تأسيسها هو التوظيف السياسي، ويثبت ان هدفهم من التأكيد عليها هو التصدّي لتشتّت الشيعة وتنظيم قواهم المتفرّقة، في قبال محاولات الأمويين والعباسيين في قمع الشيعة والعلويين وتهميش دور أتباع أهل البيت، في وقت كان فيه الشيعة يعيشون عزلة كاملة ولم يكن لهم أمل في حركة أو نهضة، فجاءت دعواتهم لتسدّ الفراغ وتمدّ الجسور بجمع الناس تحت لواء مآتم العزاء لشهيد كربلاء، "كأداة فاعلة بيدهم في توجيه شيعتهم، فضلا عن كونها المنبر الناطق والوسيلة الإعلامية الفاعلة في تلك الأجواء، الموبوءة بالصراع ومناوأة التشيّع"[٩١]، وهذا ما اكده الامام الخميني بقوله: "لا تحسبوا أنّ الغاية من اجتماعنا في المجالس الحسينية هي البكاء أو التباكي على الحسين فقط؛ فلا الإمام بحاجة إلى البكاء،

ولا البكاء في حدّ ذاته يجدي في شيء، إنّما في المجالس تجمّعٌ للناس، وهنا يكمن الهدف السياسي منها.. والمعطى السياسي هو أهم معطيات تلك التجمّعات، وهذا ما يفسّر لنا طلب بعض الأئمة من الحاضرين قراءة المجلس ورغبتهم في الاستماع لمصيبة أبي عبد الله الحسين، كذلك ليس اعتباطاً أن تنصّ رواياتهم على علوّ أجر من بكى أو حتى تباكى على مصابهم ومظلوميّتهم، فالقضية ليست قضية بكاء محض أو تباكي صرف، وإنما هي قضية السياسة بعينها التي أراد الأئمة من خلالها توحيد الأمّة وتحصينها من الزلل"[٩٢].

مواقف انظمة الحكم الاسلامية المتعاقبة:

أدركت انظمة الحكم المتعاقبة على البلاد الاسلامية خطورة ظاهرة العزاء الحسيني، فلم تكن تلك الانظمة غافلة أو بعيدة عما لهذه الظاهرة من تأثير في بعث روح الثورة في المجتمع الإسلامي، لانها تؤجج الحمية الدينية وتعزز العلاقة العقيدية والعاطفية بالمعارضة وتثير الشبهات حول شرعية الحكم القائم، ومن هنا يتبين لنا اسباب معاداة اغلب تلك الانظمة للشعائر الحسينية ومواجهتها بالقمع والتنكيل، منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه الأبرار وعلى امتداد اكثر من ١٣٥٠ سنة، وحتى يومنا هذا، ولازالت تعادي هذا الثائر العظيم وتحاول طمس معالم قضيته التي نهض من اجل تحقيقها وإيصال مبادئها للناس، وتتشابه مواقف معظم الحكام في الشعور المعادي لهذه القضية، على الرغم من اختلافهم في الزمان والمكان والفلسفة السياسية لنظام الحكم.

لقد تعرضت مجالس العزاء الحسيني لظروف قاسية ومرت بأدوار عصيبة على امتداد تاريخها، وعلى اختلاف العهود السياسية في العصر الاموي ثم في العصر العباسي وما تلاه، وتنوعت اساليبهم في القمع والاضطهاد فتارة يلجأون إلى هدم قبر صاحب هذه الشعائر - الامام الحسين عليه السلام- ومنع زواره، و تارة ثانية بتخويف ومطاردة وتصفية الشيعة وتارة ثالثة بوضع واختلاق الأحاديث التي تنال من الشعائر ومن منزلة أهل البيت عليهم السلام، ومن ثم صبها في خدمة الجهاز الحاكم.

فعندما حكم العثمانيون العراق لم يختلفوا عن نهج من سبقهم من الامويين والعباسيين بمنع زيارة أئمة أهل البيت ومحاربة الشعائر الحسينية، واستمر هذا النهج وبوتيرة متصاعدة حتى العصر الحديث " حين قامت حكومة البعث وبأوامر من صدام حسين بشن

الهجمات على العتبات المقدسة وذلك بضرب القبة الذهبية لقبر الامام الحسين عليه السلام بوابل من الرصاص والنار لا تزال آثاره لم تمحى إلى الآن، واعتقال بل وأعدام من يعمل على احياء الشعائر الحسينية"[٩٣]. هذا النهج مستمر ولم يتوقف ولم يتبدل أو يتغيَّر رغم تغير وتبدَّل الحكومات، ان الذي تغير فقط هو اسلوب القمع والبطش فكان يزداد حدة وقسوة كلما تطورت آلة القتل والتدمير، حتى امتلأت ارض العراق بالمقابر الجماعية.

إن كل اعمال القمع والتنكيل تلك لم تفلح في القضاء على الشعائر الحسينية بل على العكس كانت ولا تزال تولَّد رد فعل يدفع الانسان الشيعي إلى التمسك بها والحرص عليها ولعل شعور المسلم الشيعي في هذه الحالة هو ان السلطة تريد ان تجرده من ملاذه الوحيد الذي ينفَّس فيه عن عاطفته الحزينة الغاضبة وكبته النفسي ويعبّر من خلاله عن آرائه في مواقف حاكميه وتصرفاتهم... فكانت المآتم والاحتفالات تقام في مواعيدها سرا في اشد العهود قسوة وظلما، ولعل مما له دلالة كبيرة في هذا الشان: ان الوقوف في وجه المآتم والمنع من اقامتها أو وضع القيود على حرية ممارستها - بأعتبار ما تمثله من معارضة للحكم - سياسة اتَّبعها الحكام الشيعة وغيرهم ففي العراق وايران من البلاد الاسلامية كان يحدث حين تكون المسؤولية الاولى في الدولة بيد حاكم شيعي ان تتبع في بعض الحالات سياسة المنع أو التضييق، ولا يختلف الحال من هذه الجهة عما إذا كان المسؤول الاول في الدولة غير شيعي، وهذا ما يؤكد ان الذكرى الحسينية وما يتبعها من مراسيم العزاء في جوهرها ليست مذهبية[٩٤].

وقد وصلت قوّة التأثير الكامنة في مراسيم العزاء الحسيني مبلغاً أطمعت الحكّام في توظيفها بما يصبّ في مصالحهم، وذلك عبر عملية تغييرية ترمي إلى استدراج هذه الأداة وسلبها قوّة المعارضة والتأثير، ومحاولة جعلها أداة بيد السلطان، وبالتالي فقدانها فاعليّتها الثورية. واتضح هذا النهج في الحكم البويهي وبعدها الدولة الصفوية وحتى في فترة الحكم القاجاري والنظام البهلوي فقد "كان ملوك القاجار يحرصون، لآخر لحظة، على إجراء حيلهم كي لا تُكشف حقيقتهم لدى عامّة الناس في تحريف بعض معتقدات الشيعة والتلاعب بها؛ وتلك حيلة أغفلها خلفهم القوقازي رضاشاه بهلوي بقصد أو بغير قصد، وكانت النتيجة الكشف عن سرّ دام قرناً من الزمن. وبعد أقلّ من عقدين جاء دور هذا

القائد العسكري؛ فاستعان بتظاهره بالشعائر الدينية، لاسيما مراسم العزاء الحسيني والمواكب، في استغفال العوام وبعض رجال الدين؛ ليصل عن هذا الطريق إلى سدّة الحكم، وبمجرّد تسلّمه السلطة أصدر أمره بحظر إقامة مجالس العزاء نفسها وسائر الشعائر الدينية الأخرى، وبعمله هذا كان قد خلق أرضيةً مناسبة لسقوطه دون أن يشعر"(٩٥) وحتى العباسيون مشتركون في هذه الغاية رغم اختلاف التوجهات الأيدلوجية بين نظام الحكم البهلوي من جهة ونظام الحكم العباسي من جهة اخرى، الا ان الهدف واحد وهو توظيف الشعائر الحسينية لخدمة مصالحهم، فالعباسيون عندما تصدوا للدولة الاموية "كانوا قد روجوا لدعوتهم على اساس الأخذ بالثأر للامام الحسين عليه السلام من بني أمية رافعين شعار(يالثارات الحسين) وكانت دعوتهم للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله فاستغلوا نقمة المسلمين وسخطهم على الامويين نتيجة التنكيل والاضطهاد الذي لاقوه منهم وما ان اعتلوا العروش حتى نكصوا على اعقابهم لانهم وجدوا ان ثورة الحسين عليه السلام لم تكن ضد الامويين فحسب وانما كانت ضد كل الظالمين في كل العصور فاصبح اسم الحسين عليه السلام يقض مضاجعهم ويهدد مصالحهم بصورة مباشرة وبنفس الاسلوب الذي هدد به مصالح بني امية فعمدوا إلى محاربة هذا الاسم ومداهمة اي بيت أو مجلس يذكر فيه هذا الاسم والتنكيل بمن فيه"(٩٦).

إن تفريغ محتوى أدبيات عاشوراء وسلب الاجتماع الشيعي مضمون وروح الحماسة والنضال؛ وذلك من خلال دسّ الروايات والتفاسير السطحية غير الحماسية عن حادثة عاشوراء؛ لكي تبتعد، عن طابعها الثوري؛ حصل ذلك نظراً لوجود بعض العوامل المساعدة، ومنها تدخّل الحكومات وانتشار المتصوّفة فاستبدل واقع هذه الحادثة بانطباعات معنوية وعرفانية... وبدأ يطبّق شيئاً فشيئاً في كل عصر، لمواجهة المعارضة الشيعية المطالبة بإقامة العدل، والملهمة، دون شك من وحي كربلاء، فعمد أولئك الحكام إلى التلاعب والتحريف في هذا المصدر الثريّ من الداخل؛ لأنّ الحقيقة فرضت نفسها في فشل المواجهة الخارجية بسبل القمع والترهيب فلم تنتج إلا عنفاً أكثر قسوةً ومواجهة مستمرّة، وهذا ما أثبتته التجربة على أرض الواقع... اما السبيل إلى هذه الآلية في التغيير يتحقّق في تعمية الطريق إلى هذا المصدر (مراسيم العزاء)، وبث التحريف بين طيّاتها وبشكل تدريجي وشيئاً فشيئاً سوف يُسهم في تحريف الغاية الحقيقية له(٩٧).

المواقف العالمية من مجالس العزاء الحسيني:

أسهمت مراسيم العزاء الحسيني إسهاماً كبيراً في نقل الصورة العاكسة عن حياة أهل البيت، بشكل عام ومأساة كربلاء بشكل خاص سواء بالأساليب البيانية أو القصص الموثقة أو بإجراء الاستعراضات المباشرة بما يتناسب وفهم المخاطبين، وبأكثر من طريق، من قبيل مجالس الرثاء وإنشاء القصائد الولائية وإجراء التشابيه والمسرحيات والمواكب الاستعراضية، ومن الطبيعي أن تكون هذه السيرة أنموذجاً يقتدى بها في مقارعة الظالمين وإحقاق الحقّ والعدالة الشاملة بالثورة على السلطان الجائر(٩٨).

يقول انطوان بارا:ان "المظلومون والمضطهدون والمقهورون والمروّعون من كلّ المذاهب والبقاع يتّجهون في كلّ رغباتهم إلى جوهر ثورة الحسين عليه السلام، ففي اتجاههم الفطري ورود إلى منبع الكرامة والإنصاف والعدل والأمان...وما دامت قد تحدّدت ماهيّة ثورة الحسين عليه السلام بهذه الأطر، أفلا يجدر اعتبار الحسين شهيداً للإسلام والمسيحيّة واليهوديّة ولكلّ الأديان والعقائد الإنسانيّة الأُخرى؟"(٩٩).

إن العدد الكثير الذي يرى اليوم وفي كل بلدان العالم من ملوك وزعماء ووزراء وقادة وعلماء وادباء ومثقفين وغيرهم، تأثروا بالحسين عليه السلام فوقفوا أجلالاً له - جاء بتأثير إقامة الشعائر الحسينية، وما شهاداتهم وكتاباتهم وعباراتهم التي اطلقوها وارختها الكتب وحفظتها الذاكرة، الا تعبير حقيقي عن صدق مشاعرهم وتأثرهم بعظمة الثورة الحسينية، وحيث لا يتسع المقام لذكر الأمثلة الكثيرة لهم سأكتفي بذكر أقل القليل منها، وفقط ما ذكرتْ أو تحدثتْ عن الشعائر الحسينية و ماله علاقة بها.

كتبت المستشرقة الإنكليزية فريا ستارك فصلاً صغيراً عن عاشوراء ومراسيمها في كتابها المعروف باسم (صور بغدادية) صفحة (١٤٥- ١٥٠) طبعة كيلد يوكس١٩٤٧م، وقد يسمى كتابها (مخططات بغداد)، وتبدأ هذا الفصل بقولها: إن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأولى كلها.. ثم تأتي على ذكر واقعة الطف ومصيبة أهل البيت وإحاطة الأعداء حول الإمام الحسين عليه السلام ومنعهم إياه عن موارد الماء فتقول: وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار الناس في يومنا هذا كما كانت قبل (١٢٥٧) سنة وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن

المقدسة أن يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصة لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء[١٠٠].

ومن الذين تأثروا بمراسم العزاء الحسيني الكاتب الإنكليزي توماس لايل والذي كان يشغل منصب مساعد الحاكم المدني البريطاني مابين النجف والشامية، وقد اصطحبه سادن العتبة العلوية إلى الصحن العلوي الشريف ليشهد معه مواكب السادة وخدام الروضة في اليوم التاسع من شهر محرم وبالتدقيق في الساعة العاشرة والنصف ليلة العاشر في الفترة التي قضاها في المنطقة بين عامي ١٩١٨ – ١٩٢٠ عندها امتلكه الموقف وعلق قائلا: لم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية، ولم ينعدم الضبط بين الناس، فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء وما زلت أشعر بأني توصلت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم بوسعهما أن يهزا العالم هزا، فيما لو وجّها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين[١٠١].

وكان ايضا من الذين تأثروا بمراسيم العزاء الحسيني الدكتور (جوزف) الفرنسي حيث قال في كتابه (الاسلام و المسلمين): ان من جملة الامور السياسية التي ألبستها روؤساء فرقة الشيعة لباس المذهب من عدة قرون وصارت مورثة جدا لجلب قلوبهم و قلوب غيرهم؛ هي اصول التمثيل باسم (الشبيه والتعزية) في مأتم الحسين، وبمقتضي السياسة ألبسوا التمثيل لباس التفرج، وأظهروا في محلات التفرج العمومية لأنظار العام والخاص امورا سياسية مهمة لاستجلاب القلوب، فهذه الطائفة بواسطة مجالس المآتم، و عمل الشبيه، و اللطم و الدوران، و حمل الأعلام في مأتم الحسين، جلبت اليها قلوب باقي الفرق بالجاه والاعتبار والقوة والشوكة، وقليلا قليلا أصابوا هدفين بسهم واحد؛ تفريح الطبائع، وجلب قلوب العامة في الامور السياسية.فقد حصلت فرقة الشيعة من هذه النكتة على فائدة تامة... ومن جملة الامور الطبيعية التي صارت مؤيدة لفرقة الشيعة في التأثير في قلوب سائر الفرق هو إظهار مظلومية أكابر دينهم، وهذه المسألة من الامور الطبيعية؛ لأن كل أحد بالطبع ينتصر للمظلوم، ويحب غلبة الضعيف على القوي[١٠٢].

ولو تصفحنا التأريخ وبعجالة لرأينا أن مجالس العزاء لذكرى عاشوراء - التي هي ذكرى ثورة الحرية وحقوق الإنسان وثورة الكرامة والعزة - يخافها الطواغيت في كل مكان وكل زمان فهم يرون ان الخطر الذي يهدد عروشهم يكمن في تلك الشعائر، ومن هؤلاء الزعيم الشيوعي ستالين الذي تنبه إلى دور كربلاء واهميتها وانها هي التي تعمل على ترسيخ الاسلام من خلال عظم تضحية الامام الحسين فأصدر قراره التالي:" اقتلوا كربلاء لانه طالما بقيت كربلاء فمشكلتنا باقية لانها ما دامت موجودة فهي تصنع المزيد من الرجال وتخرج المزيد من علماء الدين وتنشرهم في الافاق"(١٠٣).

الخاتمة:

من خلال دراستنا لسوسيولوجيا العزاء الحسيني يمكننا ايجاز ما توصلنا اليه فيما يأتي:

١- ان فهم العزاء الحسيني في طور التكوين لا يتم بمعزل عن الوراء التاريخي للبيئة التي تمخضت عن ميلاد هذا الفكر وساهمت في تكوين العزاء الحسيني وظلت مصاحبة لها في مراحل تطورها التاريخي.

٢- ان العزاء بمفهومه العام هو عادة عربية قديمة وهي من الاعراف الاجتماعية الحسنة والحميدة التي اقرها الاسلام واثاب فاعلها، وعليه فان الحملة التي يشنها اليوم المتطرفون والمتعصبون وبالتحديد (المذهب الوهابي) بتكفير كل من يقيم مراسيم العزاء لموتاه لا أصل له في دين الله.

٣- كانت مراسيم العزاء الحسيني بداية نشأتها مجرد مراسيم رمزية بسيطة، إلا انها وبمرور الزمن تطورت واتخذت معنى وخصوصية، باظهار الحزن والاسى في شهر محرم وصفر من كل عام وبخاصة في الايام العاشرة الاولى من شهر محرم والمعروفة بـ(أيام عاشوراء) ساهمت عوامل (دينية وسياسية واجتماعية) في تطويرها بالشكل الذي نراه اليوم، وهكذا اصبحت ظاهرة دينية - شعائرية لها خصوصية وفرادة في العالمين العربي والاسلامي.

٤- كان لمراسيم العزاء الحسيني دور في ظهور وتأسيس هيئات ونوادي ومؤسسات دينية ثقافية شعائرية متمثلة بـ(الحسينيات وهيئات المواكب الحسينية).

٥- اختلف المؤرخون في تحديد الانطلاقة الاولى لمراسيم العزاء الحسيني، وقد ثبت من خلال البحث ان الانطلاقة الاولى له كانت على يد السيدة زينب عليها السلام وبعد استشهاد الامام الحسين في واقعة الطف مباشرة.

٦- تُعد حركة التوابين النواة الرئيسية لتجديد ذكرى الطف ومثّلت ذروة الفعل السياسي والاجتماعي لمراسيم العزاء الحسيني والانطلاقة الاولى للبعد السياسي للشعائر الحسينية.

٧- حدد اهل البيت عليهم السلام ومنذ صدر الاسلام البعد السياسي لمراسيم العزاء الحسيني وهو (الاجتماع تحت راية واحدة وتحت هدف واحد) وعملوا على رسم التصميم العام للشعائر الحسينية، وأعطوها أبعادها الدينية الكاملة، وحددوا الشكل والمضمون الذي يتناسب مع الدور المهم الذي لابد لها أن تؤديه، بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية.

٨- لا يمكن عد ما ذهب اليه بعض المؤرخين من ان بكاء الرسول صلى الله عليه وآله على الحسين منذ ولادته بانه اول مأتم أو عزاء حسيني اقامه الرسول صلى الله عليه وآله، ذلك لان الامر يتناقض مع جوهر ومفهوم العزاء الذي لا يتحقق الا بالموت.

٩- تعرضت مراسيم العزاء الحسيني لظروف قاسية ومرت بأدوار عصيبة على امتداد تاريخها، وعلى اختلاف العهود السياسية، ومارس الطغات كل اساليب القمع والتنكيل بحق من يمارسها، الا انها لم تفلح في القضاء على الشعائر الحسينية بل على العكس كانت ولا تزال تولّد رد فعل يدفع الانسان الشيعي إلى التمسك بها والحرص عليها.

١٠- بعد فشل المواجهة الخارجية للقضاء على الشعائر الحسينية بسبل القمع والترهيب والتي لم تنتج إلا عنفاً أكثر قسوةً ومواجهة مستمرّة، عمد الحكّام إلى توظيفها بما يصبّ في مصالحهم، وسلبها قوّة التأثير الكامنة فيها، وبث التحريف بين طيّاتها بشكل تدريجي ودسّ الروايات والتفاسير السطحية غير الحماسية عن حادثة

عاشوراء وتفريغ محتوى أدبيات عاشوراء لكي تبتعد ـ شيئاً فشيئاً عن طابعها الثوري عبر عملية تغييرية ترمي إلى استدراج هذه الأداة، وجعلها أداة بيد السلطان، وبالتالي فقدانها فاعليّتها الثورية وبذلك يتم سلب الاجتماع الشيعي مضمون وروح الحماسة والنضال وتحريف الغاية الحقيقية لها.

١١- أسهمت مجالس العزاء الحسيني إسهاماً كبيراً في نقل الصورة العاكسة عن حياة أهل البيت، بشكل عام ومأساة كربلاء بشكل خاص سواء بالأساليب البيانية أو القصص الموثقة أو بإجراء الاستعراضات المباشرة بما يتناسب وفهم المخاطبين، وبأكثر من طريق، من قبيل مجالس الرثاء وإنشاء القصائد الولائية وإجراء التشابيه والمسرحيات والمواكب الاستعراضية، ومن الطبيعي أن تكون هذه السيرة أنموذجاً يقتدى بها في مقارعة الظالمين وإحقاق الحقّ والعدالة الشاملة بالثورة على السلطان الجائر في كل بقعة من الارض.

أملنا ان ينال هذا الجهد اليسير المتواضع، القبول ويلقى الاستحسان، فما هو الاجهد مُقل ولاندعي فيه الكمال ولكن عذرنا انا بذلنا فيه قصارى جهدنا فان اصبنا فذاك مرادنا وان أخطئنا فلنا شرف المحاولة والتعلم، وأتمنى أن تكون هذه الورقة البحثية اسهامة يسيرة في إذكاء روح النقاش اتجاه مراسيم العزاء الحسيني وتسليط الضوء عليها من قبل الباحثين والمختصين وان تولي الجهات المعنية اهتمام بذلك. والحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على خير خلق الله محمد واله الطيبين الطاهرين.

Abstract

Occupies phenomenon solace Husseini special and distinctive and eye in the Shi'ite popular in Iraq legacies in particular ،and some Arab and Muslim countries in general position ،where this phenomenon overwhelm the Shiite arena in the month of Muharram and Safar declares mourning and spread flags and black banners and held obituary around the towns and villages and on the roads and broadcast especially this phenomenon everywhere recordings and graduated Aza in large marches from the far southern cities of Iraq and the middle and end to Magdy Rady gatherings in the tenth of Muharram Twenty of zero in Karbala ،shared the -After fall of the regime - the Shia Muslims of all the rest of the world. Husseini is the phenomenon of solace from the obvious effects in the march of history to the epic tuff timeless and the martyrdom of Imam Hussein ،peace be upon him ،which has been going on since that date until the present day ،has not stopped the harshest political and Btha- covenants unfairly against Shia passed on Iraq. Phenomenon of this size and this importance and on such a large level of influence the mind additive for millions of people ،supposed to find her today a tremendous amount of titles covered by the research and investigation of scientific and academic study and all dimensions and aspects; but however unfortunately note that there are clear shortcomings in this area specialists and stakeholders... but we lack - so far --depth study linked decrees consolation Husseini ،according to a comprehensive sociological perspective but almost non-existent ،the idea of this research to shed light on this religious phenomenon and study sociological study ،and to clarify the effects Alsosio- historical and political Alsosio- ،and grasping the dialectical relationship between them and the epic tuff timeless and the resulting principles ،values and behavior ،since its inception until the present time ،relying on a large number of sources and references ،from the history books and sociology and politics as well as some recent articles that dealt with the phenomenon. The research has come to an important and new results that no one else before we leave to the reader Karim found in the folds of research and paper Conclusion.

هوامش البحث

(١) د. محمود اسماعيل سوسيولوجيا الفكر الاسلامي طور التكوين، الطبعة الرابعة، مؤسسة الانتشار العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج١/ص١٢٧.

(٢) د. انطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩١ -١٩٢.

(٤) د.محمود اسماعيل، المصدر السابق،ج١/ص٤٩.

(٥) د.وليد سعيد البياتي،غياب النزعة القبلية في الثورة الحسينية، مجلة النبأ، موقع ألكتروني،شبكة النبأ المعلوماتية، الاثنين ٢١ كانون الثاني/٢٠٠٨،http://annabaa.org/ashura/1429/054.

(٦) د.علي الوردي، وعاظ السلاطين، الطبعة الثانية، دار كوفان، لندن، ١٩٩٥م،ص١٢٠.

(٧) د.محمود اسماعيل، المصدر السابق،ص٤٩.

(٨) د.علي الوردي،المصدر السابق،ص١٢٣- ١٣٠.

(٩) د.محمود اسماعيل، المصدر السابق،ص٤٩- ٥٠.

(١٠) كان المسلمون في عهد عمر طبقتين طبقة عليا مؤلفة من اشراف قريش وطبقة سفلى مؤلفة من سواد الاعراب ابناء القبائل البدوية، للمزيد ينظر:د.علي الوردي المصدر السابق،ص١٢٥.

(١١) د.محمود اسماعيل، المصدر السابق،ص٥٠

(١٢) جورج جرداق، الامام علي صوت العدالة الانسانية، علي وحقوق الانسان، دار الفكر العربي، بيروت،(د.ت) ج١ص٦٨.

(١٣) د.محمود اسماعيل، المصدر السابق،ص٥٠.

(١٤) د.خالد عليوي العرداوي،الامام الحسين ثورة أسقطت شرعية الطغاة، عراق القانون، موقع ألكتروني، ٢٠١٤/١١/٠٢، http://www.qanon302.net/articles.

(١٥) د.محمود اسماعيل، المصدر السابق،ص٥٧ - ٥٨.

(١٦) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،(ت٢٥٥هـ)،مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م،ص٢٤١.

(١٧) كان عمر بن الخطاب إذا دخل الشام ورأى معاوية قال: هذا كسرى العرب، للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الاولى، دار الجيل، بيروت،١٩٩٢م، ج٣ ترجمة معاوية،ص١٤١٧.

(١٨) د.علي الوردي، المصدر السابق، ص١٣٦.

(١٩) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت٧٠٩هـ)، الفخري في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية، دار صار، بيروت،(د.ت)،ص١١٣.

(٢٠) د.خالد عليوي العرداوي، المصدر السابق.
(٢١) منير الموسوي العلوي، الثورة الحسينية في وجدان المذاهب والأديان، المنتدى الرسمي للرادود الحسيني الحاج ملا جليل الكربلائي، موقع الكتروني، http://www.mollajalil.net.
(٢٢) السيد محسن الامين العاملي، اقناع اللائم علي اقامه الماتم، موسسة المعارف الاسلامية، قم المقدسة،١٣٧٦هـ، ص٣٣٩ - ٣٤٠.
(٢٣) الطبري،ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت١٣٨٧ه،ج٣/ص٢٦٣ ؛ ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان،١٩٩٧م، ج٢/ص١٦٦.
(٢٤) د.محمد حسين حب، استثمار واقعة الطف في المسرحية العربية، مسرحية "ثانية يجي الحسين" انموذج، كتابات في الميزان، موقع الكتروني http://www.kitabat.info.
(٢٥) المصدر نفسه.
(٢٦) د.انطوان بارا، المصدر السابق،ص ٣٤٦.
(٢٧) نقل المستشرق الانكليزي ادوارد براون نفس هذا النص من كتاب (الفخري في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية) لإبن الطقطقي وترجمه الى الانكليزية في كتابه (تاريخ الادب الفرنسي) ثم تُرجم الكتاب الى الفارسية فنُسب النص الى ادوارد براون، للمزيد من التفاصيل ينظر: الدكتور الشيخ محمّد صادق محمّد الكرباسي، قالوا في الحسين، دائرة المعارف الحسينية،(د.ت)، ج١ص١٨؛ ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص١١٣ - ١١٤.
(٢٨) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي الطبعة،الاولى، الدار الاسلامية،١٩٨٠م، ص٢٣.
(٢٩) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، المصدر السابق، ص٢٤.
(٣٠) منير الموسوي العلوي، المصدر السابق.
(٣١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين،(ت٧١١هـ) لسان العرب،،الطبعة الثانية، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث الإسلامي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٧م المجلد الثالث مادة (عزا)،(٥٢/١٥).
(٣٢) شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، القاهرة،١٩٩٤م،ج١/٣٥٥.
(٣٣) ابو بكر الجزائري، أحكام آخر الأيام،، دار الطرفين للنشر، الرياض،(د. ت)، ص٣٠.
(٣٤) د.رحيم حلو محمد، مجالس العزاء في المجتمع العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، بحث منشور، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة،(د ـ ت)،ص١.

(٣٥) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.
(٣٦) القصص: الآية ٨٨.
(٣٧) الزمر: الآية ٣٠.
(٣٨) الشيخ الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ)، ثواب الأعمال، الطبعة الثانية، منشورات الرضي - قم، ١٣٦٨ هـ، ص١٨٩.
(٣٩) العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦ هـ)، تذكرة الفقهاء، المكتبة الرضوية - قم، (د. ت)، ج١ /ص ٥٦؛ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ)، التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الدياجي، الطبعة الثانية، دار صادر - بيروت، ١٩٩٢م،ص١٢.
(٤٠) المصدر نفسه، ١ / ٥٦.
(٤١) د.رحيم حلو محمد، المصدر السابق، ص١.
(٤٢) ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية،تح:علي شيري، الطبعة الاولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت،١٩٨٨م،ج٤ /ص ٦٨.
(٤٣) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد،(ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد،، تحقيق، خليل شرف الدين، الطبعة الاولى، منشورات دار مكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٦ م،ج ٢ /ص ٢٧٦.
(٤٤) د.ابراهيم محمد علي الحيدري، تراجيديا كربلاء، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم،٢٠٠٧م، ص٩٦.
(٤٥) د.ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،ص ٩٦ -١٠٠.
(٤٦) ذكر الدكتور ابراهيم الحيدري في كتابه تراجيديا كربلاء ما يشبه هذا التفصيل للايام العشرة الاولى من المحرم، الا انه قدّم واخّر في بعضها وخصوصا اليوم المختص بالامام العباس عليه السلام والذي حدده باليوم الثامن في حين ان المتعارف عليه هو اليوم السابع من شهر محرم، للمزيد من التفصيل ينظر: د. ابراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص٩٧؛ العتبة الحسينية المقدسة، مراسيم عزاء الامام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة، موقع الكتروني، http://imamhussain.org.
(٤٧) فاروق احمد مصطفى،، الموالد، الطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب /،القاهرة، ١٩٨١م، ص٣٦.
(٤٨) سورة الحج، الاية ٣٢.
(٤٩) سورة المائدة، الاية: ٢.
(٥٠) حيدر الجراح،الشعائر الحسينية النشاة والتطور، مجلة النبأ، موقع الكتروني،العدد٥٦، نيسان ٢٠٠١م، http://annabaa.org/nba56/shaaar.
(٥١) حيدر الجراح، المصدر السابق.
(٥٢) سورة البقرة، الاية: ٥٤.

(٥٣) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة، تحقيق: سامي الغريري الغرّاوي،الطبعة الاولى،مؤسسة دار الكتاب الإسلامي،٢٠٠٦م،ص٢٤١.

(٥٤) ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م،ج٤/ص٤ - ٥.

(٥٥) الشيخ صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة، تحقيق: نبيل رضوان علوان، دار الزهراء للطباع والنشر، بيروت،(د.ت)، ج١/ص١١٢.

(٥٦) ابن قتيبة الدينوري، ابي محمد عبد الله بن مسلم،(ت٢٧٦هـ)، الامامة والسياسة،تحقيق: علي شبّر، دار الاضواء، بيروت، ١٩٩٠، ج٣١/٢ ؛ د.ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،ص٥١.

(٥٧) د.ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،ص٥٣.

(٥٨) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي المصدر السابق،ص٢٤٩.

(٥٩) الشيخ صالح الشهرستاني، المصدر السابق، ص١٤٨ -١٤٩.

(٦٠) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي المصدر السابق، ص٢٦٩.

(٦١) د.ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،ص٦٠ -٦١.

(٦٢) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي المصدر السابق، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٦٤) د. ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،ص ٦١.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٦٦) د.ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،. ص٦٧.

(٦٧) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي المصدر السابق، ص٢٩١.

(٦٨) مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، الشعائر الحسينية، موقع الامام الهادي عليه الصلاة والسلام، موقع الكتروني، http://www.alhadi.ws/wp.

(٦٩) المصدر نفسه.

(٧٠) د.ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،ص ٦٨-٦٩.

(٧١) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي المصدر السابق، ص٢٩٢.

(٧٢) د.ابراهيم الحيدري، المصدر السابق،ص ٦٨.

(٧٣) اسلام بوك،كيف نشأت المجالس والمآتم الحسينيه، Islamic Books، موقع الكتروني، http://islamicbooks.info.

(٧٤) السيد محسن الامين العاملي،المصدر السابق، ص٩٢.

(٧٥) الاميني، الشيخ عبد الحسين بن أحمد التبريزي النجفي،(ت١٣٩٠هـ)، سيرتنا وسنتنا، الطبعة الثانية، دار الغدير للمطبوعات ودار الكتاب الاسلامي، بيروت - لبنان،١٩٩٢، ص٤٩.

(٧٦) محمد طاهر محمد،الشعائر الحسينية: نشأتها.. المراحل التي مرت بها، شبكة النبأ الالكترونية، موقع الكتروني، www.annabaa.org.

(٧٧) شبكة رافد للتنمية الثقافية، النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه أوّل من بكوا الحسين عليه السلام، موقع الكتروني، http://rafed.net.

(٧٨) باقر شريف القَرَشي، السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الإسلام عرضٌ وتحليلٌ، مكتبة الرسول الاعظم،٢٠٠٠م، ص٢٢٣.

(٧٩) الدكتورة بنت الشاطئ، بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء،الطبعة الثانية، مكتبة الأندلس، بيروت،ص١٧٦ -١٨٠.

(٨٠) اسلام بوك، المصدر السابق.

(٨١) باقر شريف القرشي، حياة الامام الحسين، الطبعة الرابعة، مدرسة العلمية الايرواني، مطبعة باقري،١٩٩٢،ج٣ /ص٣٠٤.

(٨٢) ابن طاووس، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر،(ت ٦٦٤هـ)،الملهوف على قتلى الطفوف،تحقيق: فارس تبريزيان،دار الاسوة للطباعة والنشر، (د.ت)،ص١٨٠-١٨١.

(٨٣) ابن طاووس،المصدر السابق، ص١٨١.

(٨٤) حسن موسى الصفار، المرأة العظيمة، قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي، الطبعة الثانية، دار الانتشار العربي،٢٠٠٠م،ص١٨١.

(٨٥) د.ابراهيم بيضون، التوابون،الطبعة الثانية،دار التعارف للمطبوعات،١٩٧٥م، ص١٣٠ -١٣١.

(٨٦) المصدر نفسه،ص ١٣١.

(٨٧) حديث للسيد الخميني مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ١٩٨٦/٦/٢١، للمزيد من التفصيل ينظر: روح الله الموسوى الخميني،نهضة عاشوراء، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني، دار الوسيلة (د.ت)، ص١٦.

(٨٨) مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، المصدر السابق.

(٨٩) السيد محسن الامين العاملي، المصدر السابق،ص ١٤٩.

(٩٠) د.محسن حسام ظاهري، مجالس العزاء.. الأدوار والوظائف الفردية والاجتماعية، ترجمة: محمد عبد الرزاق، نصوص معاصرة،مركز البحوث المعاصرة في بيروت، موقع الكتروني http://nosos.net.

(٩١) المصدر نفسه.

(٩٢) النص مجتزأ من كلمة ألقاها الامام الخميني بتاريخ ١٤/٨/ ١٩٨٠م، للمزيد من التفاصيل ينظر: روح الله الموسوى الخميني، ثورة عاشوراء عند الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني طهران، ٢٠٠٢م،ج١/ص٦٤.

(٩٣) المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، الفكر العاشورائي وثقافته وأثرهما في تفجير الصحوات الإسلامية، موقع الكتروني، http://www.taghrib.org.

(٩٤) آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي المصدر السابق، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٩٥) د.محسن حسام ظاهري، المصدر السابق.

(٩٦) محمد طاهر محمد، المصدر السابق.

(٩٧) د.محسن حسام ظاهري، المصدر السابق.

(٩٨) المصدر نفسه.

(٩٩) د.انطوان بارا، المصدر السابق، ص٨١.

(١٠٠) د.الشيخ محمّد صادق محمّد الكرباسي، المصدر السابق، ص٢٤١.

(١٠١) المصدر نفسه، ص١٠٦.

(١٠٢) شرح الدكتور (جوزف) الفرنسي أحد مشاهير مؤرخي فرنسا في كتابه المسمى (الاسلام و المسلمين) ترقيات كل فرقة من الفرق الاسلامية بأدلتها، و المؤلف المذكور يدعي انه الى الآن لم يشرح أحد من مؤرخي اوروبا أحوال المسلمين بأدلتها مثله... وهذه الترجمة هي التي اوردتها جريدة (حبل المتين) الفارسية عن الدكتور جوزف، و قد أفاض الكاتب في امور اخرى برهن على أنها من أسباب ترقي الشيعة، كالقول بالاجتهاد، و الاعتقاد بوجود المهدي، تركنا ذكرها لعدم تعلقها بالوضوع، للمزيد من التفاصيل ينظر:السيد محسن الامين العاملي، المصدر السابق،ص ٣٥٥- ٣٦١.

(١٠٣) د.الشيخ محمّد صادق محمّد الكرباسي، المصدر السابق، ص١٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- إبراهيم بيضون، التوابون، الطبعة الثانية، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٥م.

٢- إبراهيم محمد علي الحيدري، تراجيديا كربلاء، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ٢٠٠٧م.

٣- إبن الاثير، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م.

٤- إبن طاووس، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر، (ت ٦٦٤هـ)، الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق: فارس تبريزيان، دار الاسوة للطباعة والنشر، (د.ت).
٥- إبن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت٧٠٩هـ)، الفخري في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية، دار صار، بيروت، (د.ت).
٦- إبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الاولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
٧- إبن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، ، تحقيق، خليل شرف الدين، الطبعة الاولى، منشورات دار مكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٦ م.
٨- إبن قتيبة الدينوري، ابي محمد عبد الله بن مسلم، (ت٢٧٦هـ)، الامامة والسياسة، تحقيق: علي شبّر، دار الاضواء، بيروت، ١٩٩٠م.
٩- إبن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تح:علي شيري، الطبعة الاولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٨٨م.
١٠- إبن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (ت٧١١هـ) لسان العرب، ، الطبعة الثانية، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث الإسلامي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
١١- ابو بكر الجزائري، أحكام آخر الأيام، دار الطرفين للنشر، الرياض، (د. ت).
١٢- إسلام بوك، كيف نشأت المجالس والمآتم الحسينيه، Islamic Books، موقع الكتروني، http://islamicbooks.info.
١٣- الاميني، الشيخ عبد الحسين بن أحمد التبريزي النجفي، (ت١٣٩٠هـ)، سيرتنا وسنتنا، الطبعة الثانية، دار الغدير للمطبوعات ودار الكتاب الاسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٢,
١٤- انطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، بيروت، ٢٠٠٩,
١٥- باقر شريف القرشي، حياة الامام الحسين، الطبعة الرابعة، مدرسة العلمية الايرواني، مطبعة باقري، ١٩٩٢.
١٦- ، السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام عرضٌ وتحليلٌ، مكتبة الرسول الاعظم(د.ت).
١٧- بنت الشاطئ، بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء، الطبعة الثانية، مكتبة الأندلس، بيروت(د.ت).
١٨- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت٢٥٥هـ)، مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.
١٩- جورج جرداق، الامام علي صوت العدالة الانسانية، علي وحقوق الانسان، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت).

٢٠- حسن موسى الصفار، المرأة العظيمة، قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي، الطبعة الثانية، دار الانتشار العربي، ٢٠٠٠م.
٢١- حيدر الجراح، الشعائر الحسينية النشاة والتطور، مجلة النبأ، موقع الكتروني، العدد٥٦، نيسان ٢٠٠١م، http://annabaa.org/nba56/shaaar.
٢٢- خالد عليوي العرداوي، الامام الحسين ثورة أسقطت شرعية الطغاة، عراق القانون، موقع ألكتروني، ٢٠١٤/١١/٠٢، http://www.qanon302.net/articles.
٢٣- رحيم حلو محمد، مجالس العزاء في المجتمع العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، بحث منشور، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، (د ـ ت).
٢٤- روح الله الموسوى الخميني، ثورة عاشوراء عند الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني طهران، ٢٠٠٢م.
٢٥- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٦- الشيخ الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ)، ثواب الأعمال، الطبعة الثانية، منشورات الرضي - قم، ١٣٦٨ هـ.
٢٧- صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة، تحقيق: نبيل رضوان علوان، دار الزهراء للطباع والنشر، بيروت، (د.ت).
٢٨- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت١٣٨٧ه، ج٣/ص٢٦٣؛ ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٧م.
٢٩- العتبة الحسينية المقدسة، مراسيم عزاء الامام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة، موقع الكتروني، http://imamhussain.org.
٣٠- العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦ هـ)، تذكرة الفقهاء، المكتبة الرضوية - قم، (د. ت).
٣١- علي الوردي، وعاظ السلاطين، الطبعة الثانية، دار كوفان، لندن، ١٩٩٥م.
٣٢- فاروق احمد مصطفى، ، الموالد، الطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب /، القاهرة، ١٩٨١م.
٣٣- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ)، التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي، الطبعة الثانية، دار صادر - بيروت، ١٩٩٢م.
٣٤- المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، الفكر العاشورائي وثقافته وأثرهما في تفجير الصحوات الإسلامية، موقع الكتروني، http://www.taghrib.org.

٣٥- محسن الامين العاملي، اقناع اللائم علي اقامه الماتم، موسسة المعارف الاسلامية، قم المقدسة، ١٣٧٦هـ.
٣٦- محسن حسام ظاهري، مجالس العزاء.. الأدوار والوظائف الفردية والاجتماعية، ترجمة: محمد عبد الرزاق، نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة في بيروت، موقع الكتروني http://nosos.net.
٣٧- محمد حسين حب، استثمار واقعة الطف في المسرحية العربية، مسرحية "ثانية يجي الحسين" انموذج، كتابات في الميزان، موقع الكتروني http://www.kitabat.info.
٣٨- محمّد صادق محمّد الكرباسي، قالوا في الحسين، دائرة المعارف الحسينية، (د.ت).
٣٩- محمد طاهر محمد، الشعائر الحسينية: نشأتها.. المراحل التي مرت بها، شبكة النبأ الالكترونية، موقع الكتروني، www.annabaa.org.
٤٠- محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة، تحقيق: سامي الغريري الغرّاوي، الطبعة الاولى، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٦م.
٤١- ، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي الطبعة، الاولى، الدار الاسلامية، ١٩٨٠م.
٤٢- محمود اسماعيل سوسيولوجيا الفكر الاسلامي طور التكوين، الطبعة الرابعة، مؤسسة الانتشار العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٤٣- منير الموسوي العلوي، الثورة الحسينية في وجدان المذاهب والأديان، المنتدى الرسمي للرادود الحسيني الحاج ملا جليل الكربلائي، موقع الكتروني، http://www.mollajalil.net.
٤٤- مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، الشعائر الحسينية، موقع الامام الهادي عليه الصلاة والسلام، موقع الكتروني، http://www.alhadi.ws/wp.
٤٥- نهضة عاشوراء، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني، دار الوسيلة (د.ت).
٤٦- وليد سعيد البياتي، غياب النزعة القبلية في الثورة الحسينية، مجلة النبأ، موقع ألكتروني، شبكة النبأ المعلوماتية، الاثنين ٢١ كانون الثاني/٢٠٠٨، http://annabaa.org/ashura/1429/054.htm.